١٠٦٤
1064
كبير
HARLEQUIN
دار م. النحاس

الخوف من الحقيقة

ساندرا مارتون

www.elromancia.com
مـــرمـــوريـــة

الخوف من الحقيقة

ساندرا مارتون

ارادت فيكتوريا ان تلقي نظرة خاطفة على الزوجين اللذين حضنا طفلتها ـ وان تلقي ايضاً نظرة غالية على طفلتها وذلك ان حالفها الحظ. لم تكن تتوقع أن تقودها تحرياتها الخاصة حول الشخص الذي رعا وحضن ابنتها، إلى جزيرة تبعد كثيراً عن سان جوان، وان تتعقب خطوات رورکي کامبل ... وتكتشف الحقيقة المذهلة.

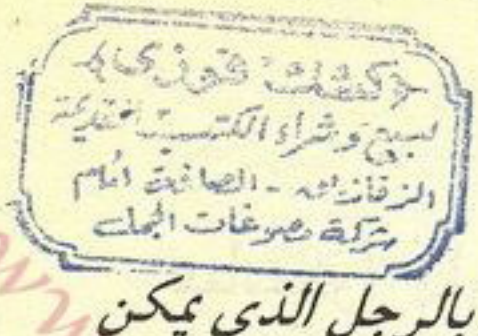

لم يكن بالرجل الذي يمكن مقاومته.

قال روركي بخشونة: «لا قانون في جزيرة لابانتيرا عدا قانوني أنا. وكل شيء في هذه الجزيرة هو ملك خاص بي.»

قالت بسرعة: «لكنني لست ملكاً لك. لست...»

كرر قوله: «كل شيء.» ثم مد يده ليمسك بها بطريقة لا تمكنها من الهرب.

همس وهو يرجع قليلاً إلى الوراء، ورأت السواد الذي خيم على عينيه: «لن تستطيعين مقاومتي. هل تفهمين؟»

قالت وهي تصر بأسنانها: «انني اكرهك.»

ساندرا مارتون

تعتقد كاتبة هذه القصة ساندرا مارتون، بأنها تفضل النهايات السعيدة في القصص الروائية، وان تعيش بطلة القصة مع الحبيب الذي اختاره قلبها قصة حب لا تنتهي. لقد الفت الكاتبة قصتها الأولى وهي في التاسعة من عمرها، قبل سبعة اعوام من وقوعها في الحب مع فتى احلامها والذي تزوجته مع الوقت. انها تعيش الآن مع زوجها وولديها في منزل يقع على تلة من تلال ولاية كونيكتيكات الاميركية.

عبير ١٠٦٤

Abir 1064

الخوف من الحقيقة

ساندرا مارتون

دار
مؤسسة النحاس
للطبع و النشر و التوزيع
بيروت - لبنان

www.elromancia.com

تمهيد

خرج من مياه البحر الأزرق الذي يميل إلى الأخضر بتألق ولمعان يلفتان النظر. وكانت مياه البحر تتساقط من جسده البرونزي بقطرات اخذت تلمع كالنجوم المتألقة في الليل على شعره الداكن الكثيف فوق صدره والذي نحف عند خاصرتيه.

كانت الشمس تسطع بحرارة على بشرته، ثم رفع رأسه اليها ببطء وتكاسل وهو يغمض عينيه، اتقاء من اشعتها اللاهبة والمضيئة، وكأنه يزيل عنه ارهاق تراكم اعمال الأسبوع المنصرم.

شعر بعد فترة بأن عضلات جسده المتين قد أخذت ترتاح وتسترخي، وذلك لأنه كان يعتقد بأن الشمس والسباحة هما العلاجان الشافيان لجميع الامراض، كما وانه لم يكن ذلك هو السبب الوحيد الذي جعله يقطع المسافات إلى هذا المكان البدائي من حيث موقعه الطبيعي.

جاء إلى هذا المكان البدائي لأنه يعرف تماماً بأنه لن يواجه وجوه المتطفلين، ولا شيء يذكره فيه بعالمه الذي يسيطر عليه. ما من أحد هنا يستعجله على انهاء واجباته، او يتلقى ابتسامات مزيفة ومنافقة لكل نكتة يقولها او بكلمة يتمسكون بها ويمتدحونها بتزلف واضح وصريح.

كان لهدوء ذلك المكان رفاهية وراحة كاملة، يقطعه هدير الأمواج التي تتواكب باستمرار لتتكسر عند شاطىء الرمل

الأبيض الذي يحيطه ويحدد حدود جزيرته. فلم يكن هناك أي صوت آخر، مثل هدير المراكب حتى ولا صوت مذياع يسمع، ولا حتى أي شاشة تلفاز في كل الجزيرة بأسرها. لكن الضرورة فرضت تجهيز وتمديد خط هاتفي، والبعض القليل من الذين تواجدوا في الجزيرة لا يستعملونه الا في الحالات القصوى والضرورية.

كان هذا المكان، بصخوره الصغيرة التي تظهر هنا وهناك، وبشاطئه الرملي الأبيض، وبأشجار النخيل التي علت حول شاطىء بورتوريكو، كانت ملكاً خاصاً لروركي كامبل. كانت له، وليس فيها اية قوانين عدا التي يرغبها ويريدها.

كان لامتلاكه هذه الجزيرة امر صعب ومتعب، ولم يكن يتوقع ابداً ان يحصل عليها.

«نعم سينيور، نعلم جيداً بأنك ترغب في شراء جزيرة دولابانتيرا.» وكان هذا ما يقوله كل موظف حكومي بصبر واناة. ثم يختم كلامه قائلاً: «لكن الجزيرة ليست للبيع.»

كانت من حقه في النهاية، وكما هو معروف، لكل شيء ثمنه. وكان هذا ما يعتقده روركي دائماً وفي كل الأحوال، بأنك تستطيع شراء أي شيء، لكن وبشرط واحد، إذا كنت تملك المال الكافي لذلك.

«سينيور كامبل؟»

فتح روركي عيناه ومال برأسه نحو الشاطىء، وانبهر نظره لشدة الوهج والنور للحظات، فغطى عينيه بيده. وابتسم قليلاً عندما رأى سيدة تقف على الرمال، وتحمل طفلة تتحرك بمرح بين ذراعيها.

قالت بلغة اسبانية: «لقد استيقظت ابنتك. وكنت قد قلت لها ان والدك هنا، لكنها ارادت أن تتأكد من ذلك بنفسها.»

اتسعت ابتسامته بحنان، ولطفت قليلاً من ملامح وجهه القاسية، واسرع يعدو نحوها على الشاطىء، وأخذت الطفلة تضحك بمرح وهي تثب نحوه بحماس وإلى ذراعيه الممدودتين.

«والدي هنا، والدي هنا.» وكان روركي قد وصل اليها وشدها برفق إلى صدره.

«انني دائماً هنا، يا عزيزتي.» وللحظة قصيرة عادت الحدة الحالكة إلى عينيه، وتابع يهمس لها بعطف: «انني دائماً موجود، يا حبيبة قلبي.»

أخذت الطفلة تصرخ بمرح عندما حملها والدها ووضعها على كتفيه. وشعر بمرارة عذبة في داخله وهي تتمسك بشعره الداكن المبلل.

كيف يمكنه ان ينسى امراً كهذا؟ فهناك اشياء لا يستطيع ابداً شرائها.

انه الحب لهذه الطفلة.

الحب لابنته.

فترت ابتسامة روركي وتلاشت. وتذكر بأنه أي شيء آخر يحبه ويريده هو على قدر وافر وجاهز ليشتريه بماله، تماماً مثل جزيرة دولا بانتيرا. عرف ذلك وفي الدرجة الأولى، كان درساً له وقد حفظه جيداً.

www.elromancia.com

الفصل الأول

حلقت الطائرة التي تقل فيكتوريا على متنها، في سماء شيكاغو كعاصفة في منتصف الشتاء زحفت إليها من كندا. نظرت نظرة أخيرة إلى العالم الذي اكتسى بوشاح أبيض من الثلوج المتراكمة، وبعد ذلك حجبت الغيوم الكثيفة الرؤية من النافذة التي جلست إلى جانبها. وتحول كل شيء حولها إلى لون رمادي قاتم، وكأن يد عملاق لفت فجأة الطائرة، بغطاء قطني سميك.

عقدت فيكتوريا اصابع يديها ببعضها وهي تفكر، في هذا اليوم العاصف والذي يصادف بالنسبة إليها، المرة الأولى التي تسافر في حياتها كلها. كانت الطائرة قد تأخر موعد اقلاعها مرة بعد أخرى، إلى أن أقلعت أخيراً بعد أن صفا الجو قليلاً وخفت العواصف.

«ان الطقس رديء جداً في الخارج، اليس كذلك؟»

اجفلت فيكتوريا عندما سمعت صوت الرجل اللطيف. وحولت نظرها إلى مصدر الصوت، رأت ان صاحب الصوت يجلس بارتياح على المقعد إلى جانبها. كان في مقتبل العمر، وسيم وبهي الطلعة، وكانت ابتسامته تكشف عن صف اسنان بيضاء متساوية الشكل، وتكمن في داخله روح وفتنة الشباب الواثق من نفسه.

استراح باستقرار إلى جانبها ومال برأسه نحوها قائلاً: «عندما رأيت فراغ هذا المقعد فكرت، لماذا أكون أنا هناك

وتكوني أنت هنا وحيدة، وأمامنا آلاف الأميال لنقطعها في هذه الرحلة و...»

«أعرف تماماً بماذا كنت تفكر. وأريد ان اطمئنك، أنك تضيع وقتك معي.»

خفت ابتسامة الرجل قليلاً وهو يقول: «اسمعي، لقد اسأت فهمي، فأنا أحاول ان... فكرت فقط بأن الرحلة ستكون طويلة ومملة، و...»

«نعم، انها فعلاً ستكون كذلك.» ومدت يدها إلى حقيبة يدها وأخذت من داخلها رواية. «ولهذا السبب احضرت معي هذا الكتاب.»

ضحك بلطف وقال: «ان الكتاب ليس رفيقاً ممتعاً لك، لأنك تبدين وحيدة ومنعزلة، وانت تجلسين هنا بمفردك، ولهذا السبب أنا...»

توقف عن الكلام عندما فتحت فيكتوريا الكتاب على الصفحة الأولى لتباشر بالقراءة، وكان شعرها الأسود ينهدل امامها كأنه درع يحمي به وجهها. واختلطت الكلمات تحت نظرها، وكأنها تقرأ كتاباً هندياً. لكنها أخذت تحدق بالكتاب باهتمام بالغ وكأنه كان فعلاً يعني شيئاً لها، إلى أن سمعت أخيراً ضيفها غير المرغوب فيه يتمتم بكلمات لم تفهمها. وأحست بخلو المقعد إلى جانبها، وعندما رفعت نظرها، كان قد اختفى تماماً.

اقفلت عندئذ الكتاب الذي بين يديها بيد مرتعشة، وكان هذا شيء سخيف يصدر عنها. والغريب في الأمر ان قلبها كان يسرع من خفقانه، وهذا أيضاً شيء جنوني. فالرجل كان يحاول فقط ان يجرب حظه معها وبطريقة سهلة وبريئة،

ومع انها كانت تعرف وتفهم كل شيء، لكنها كانت تضطرب دائماً من تحرش الرجال بها.

لكنه عندما قال لها، بأنها تبدو عليها الوحدة وهي تجلس بمفردها، اختلجت واضطربت مشاعرها وهي تعود بذاكرتها أربع سنوات إلى الوراء، حيث كانت تجلس داخل سيارة كاديلاك، توقفت تحت ظلال اشجار تلة بولدر وكريغ ستيفنز إلى جانبها.

تنبهت من غفلتها على صوت كابتن الطائرة ينادي على الركاب: «سيداتي، سادتي، انه الكابتن يتكلم معكم، سيسعدكم ان تسمعوا هذا الخبر. ان الطقس دافئاً ومشمساً في سان جوان، ودرجة الحرارة معتدلة.»

تردد صدى الابتهاج والارتياح في الطائرة: «سنسابق الريح، وسنصل خلال عشرون دقيقة من الوقت، و...»

«عشرون دقيقة!» قال أحدهم ضاحكاً والذي كان يجلس على المقعد تماماً وراء فيكتوريا: «حسناً، واعتقد بأن ذلك شيء رائع. ولن نضطر إلى التذمر بعد ربع ساعة اضافية حيث سننعم بأشعة الشمس الدافئة.»

تنفست فيكتوريا بارتياح، وهي تفكر، بالفعل لا يسعنا أن نتذمر من ربع ساعة اضافية، ومالت برأسها إلى الخلف واغمضت عينيها. لا يسعها ان تتذمر والذي يفصلها عن الشيء الذي سيعطي معنى للحياة التي تحياها مئة وعشرون ساعة من الوقت.

المئة والعشرين ساعة أو الخمسة أيام هي المدة التي تمكنها من ان تعثر على الطفلة التي منحتها الحياة منذ ان ابصرت النور ولم تعد تراها من حينها.

www.elromancia.com

كانت فيكتوريا تقف تحت اشعة الشمس الاستوائية بعد مضي أربع ساعات، وهي تطرف بعينيها من اشعة الشمس الساطعة. وأحست وكأنها انتقلت من عالم قد الفته إلى عالم غريب عنها، ويلزمها بعض الوقت كي تنسجم به وبأجوائه.

لقد اخبرها الموظف في وكالة السياحة بأنها لن تجد شيئاً على مزاجها أو مجهزاً لها، وفهمت منه أيضاً ان هناك فارق ساعة من الوقت بين بلدها وهذه الجزيرة التي طارت إليها، وان معظم أهل الجزيرة يتكلمون اللغة الانكليزية، لكن لم يعط لها أية معلومات حول الحرارة الشديدة والمضنية، أو عن عبير الأزهار الفواحة التي ينقلها الهواء إلى كل مكان، وكم كرهت سيارات الأجرة وهم يتزاحمون لمن تكون له الاسبقية لأن يصل إلى مكان وصول المسافرين على الخط النهائي.

«ستعجبك بورتوريكو.» قالت السيدة في الجمرك ذلك وهي تعيد لفيكتوريا بطاقة السفر والمستند الذي يشير في أي فندق ستقيم: «كما انك ستحبين الشواطىء الرملية، والفنادق، والأسواق... وكأن الجزيرة ككل، حفلة صاخبة لا تتوقف، يا عزيزتي، أعرف جيداً بانك ستمضين اوقاتاً طيبة وجميلة.»

ابتسمت فيكتوريا وقالت نعم، وكأنها تؤكد لها ذلك. فالأمر اسهل على هذا الشكل من ان تقول للسيدة عن سر زيارتها، وكانت تعلم وفي قرارة نفسها، ان آخر ما تنتظره في هذه الجزيرة، هو الاوقات الطيبة والجميلة.

كانت مهمتها في ان تعثر على ل.ر. كامبل، والدليل الوحيد للوصول إليه والذي كان في يديها، هو عنوان مكان

عمله وصورة فوتوغرافية له غير واضحة المعالم. والذي استطاعت ان تفهمه منها، بأن كامبل رجل متوسط العمر، يضع نظارات ذات اطار حديدي، وشعر خفيف.

لكن، لم يكن لديها صورة عن زوجته، كما انه لم يكن لديها ايضاً عنوان مكان اقامته. وكأن الرجل يحرص بشدة على سريته وعزلته، وقد تمكنت من ان تحصل على عنوان عمله وهذه الصورة في مدة ثلاثة ايام وبواسطة التحري الخاص الذي وظفته لهذا الشأن.

كانت اجرة التحري الخاص قد حذفت جزءاً لا يستهان به من الميراث الذي حصلت عليه فيكتوريا وذلك من بوليصة التأمين على حياة والدتها. وكانت فواتير والدتها الطبية مذهلة ومربكة، ومصاريف الجنازة كانت مكلفة جداً. ولم يبق لديها سوى القليل الذي لا يذكر من الذي تركته لها والدتها بما فيه ثمن مبيع البيت العتيق والمتداعي والمهدد بالسقوط والذي كانت قد ترعرعت ونشأت فيه.

ها هي الآن هنا، في جزيرة سان جوان، وبوضع غير واضح المعالم. تنهدت فيكتوريا وهي تنقل حقيبة ملابسها من يد وإلى أخرى بتعب وارهاق. وتذكرت تأكيد التحري الخاص بانه مستعد على ان يجيبها عن كل الاسئلة.

قال لها أيضاً: «اسمعي، ايتها السيدة ونترز، انك تريدين ان تعرفي مكان اقامة ذلك الرجل؟ لا عليك، فما من مشكلة. لأنني استطيع ان أكون يوم الجمعة في سان جوان، واعود يوم الأحد إلى شيكاغو وفي جعبتي المعلومات الكافية لك.»

«أتعنى انك تريد الذهاب بنفسك؟ اليس لديك اصدقاء هنا؟ أو أية اتصالات بسان جوان؟»

ابتسم الرجل عندها ابتسامة واسعة وهو ينفث دخان سيجارته في الهواء. «لا بد وأنك شاهدت العديد من الأفلام السينمائية، يا سيدة ونترز. ومن هو الذي قد اعرفه في المحيط الكاريبي؟ هذا بالاضافة، إلى انه سوف ينتهي بك الامر بان تدفعي للرجل الذي ستكلفينه ليقوم بالمهمة التي تريدينها. ومن يعلم، قد يخدعك دون ان يمنحك شيئاً من المعلومات التي طلبتها. صدقيني، فقد يكون الأمر اقل كلفة عليك لو سافرت أنا بنفسي إلى هناك. وسأجمع المعلومات الكافية لك خلال يومين أو ثلاثة أيام على الأكثر.»

قامت فيكتوريا عندئذ تحسب بسرعة، ان الرحلة ستكلف ثروة صغيرة، وذلك اذا جمعت ثمن تذكرة التحري، وايجار الفندق الذي سيقيم فيه والوجبات الكاملة. وربما قد يحتاج إلى استئجار سيارة خاصة له ايضاً، وذلك ليقوم بتنقلاته، هذا بالاضافة إلى ثمن اتعابه. وعندما عاد ومعه عنوان مكان عمل كامبل، كان عليها ان تستعد هي الأخرى إلى رحلة مماثلة لرحلته، وبنفس التكاليف.

قالت له: «شكراً لك، استطيع ان ادبر اموري المتبقية.»

«ان عنوان الرجل معك الآن، هيا اذهبي، قومي بالعمل المتبقي عليك، ايتها السيدة.»

جاء باص المطار لينتشلها من افكارها التي انغمست فيها، وفتح بابه، فاعتلت درجاته القليلة، ثم جلست على أحد المقاعد. وعادت تتذكر كلمات التحري الأخيرة التي لم تكن مشجعة، ولكنها لم تحبط من عزيمتها. لأنها تعرف الآن اين تقع مؤسسة كامبل التجارية، كما انه عندها صورة فوتوغرافية عنه. فكم سيكون الأمر صعباً عليها لتعثر على

مكتبه، ومن ثم تنتظر نهاية يوم العمل وموعد خروجه من عمله لتلحق به إلى حيث اقامته الدائمة؟

فكرت انه وبقليل من الحظ ستختتم رحلتها هذه قريباً. وسوف ترى بعينيها الاثنتين، الرجل والمرأة اللذين حضنا طفلتها، وسترى البيت الذي يقيمون ويعيشون فيه، وعندها فقط تتأكد بنفسها من صدق كلام ووعود الدكتور رونالد بان ابنتها تلقى عناية جيدة بين جناحي والدين حنونين ومحبين.

كانت تريد دائماً ان تثق بذلك، ولكن شيئاً من اعماق قلبها كان يرفض ان يثق بكلام الدكتور رونالد. وهذا هو السبب الاساسي لمجيئها الآن إلى هذا المكان، لتطرح شكوكها جانباً، والتي سيطرت على امانيها واحلامها، ولتتأكد بنفسها بانها قامت بالخيار الاصح والأنسب.

أصبحت فيكتوريا في اليوم التالي يائسة وقد فقدت الأمل، وشعرت بانها اخطأت في تقدير كل شيء.

كانت قد تخيلت بأن شركة كامبل تقع في شارع ضيق كثرت فيه اشجار النخيل، وفي مبنى ذو لون فاتح جداً. وتراءى لها أيضاً انها سترى لوحة نحاسية تلمع ببريق على باب الشركة وهي تحمل اسم صاحبها، وسيارة سوداء طويلة من طراز الليموزين تقف إلى جانب الطريق، وبأنها سوف ترى ل.ر كامبل وهو يغادر شركته آخر النهار، بنظارتيه ذات الاطار النحاسي، وبشعره الخفيف، ثم يستقل السيارة وينطلق بها مسرعاً، وعندها تلحق به بحذر في سيارة اجرة.

اخفت الحقيقة ذلك الوهم الذي عاش لفترة في رأسها، فقد

www.elromancia.com

كان هناك العديد من الشوارع الهادئة والساكنة في سان جوان، ولكن ليس في منطقة هاتوراي، حيث تقع الاماكن الرئيسية والعملية والتجارية، ووجدت هناك ذلك المبنى الشاهق الذي دل عليه التحري. والذي كان فقط مشابهاً للذي تخيلته، كانت تلك اللوحة النحاسية التي تحمل اسم كامبل بأحرف نافرة، وادركت وقلبها يكاد يهوي من مكانه، بأن ذلك المبنى وبطوابقه الخمسة عشر تعود إلى الشركة نفسها.

تنفست فيكتوريا بتنهد ووجل، لأن الأمر سيكون في غاية الصعوبة لتعثر على مكتب ل. ر. كامبل نفسه، اذا لم يكن ذلك من المستحيل.

تقدمت من بوابة المبنى التي فتحت بصورة آلية، ودخلت إلى ردهة مبلطة برخام زهري اللون. ووجدت مكتب الاستعلامات مقابل المصعد، وفيه حارس مهذب ولكنه عنيد. ولم يسمح لها بالمرور لأنها ليست على موعد مسبق، وقال لها ليس من استثناءات في ذلك.

قالت فيكتوريا عندئذ: «حسناً، في هذه الحالة، كيف يمكن للمرء ان يقدم طلباً لأجل وظيفة ما؟»

ابتسم عندها الحارس، وقال: «آه، هذا يختلف الآن، في هذه الحالة عليك ان تملأي الطلب هذا.»

«بعد ذلك، ماذا أفعل؟»

«بعد ذلك تحملينه إلى الطابق الرابع، وتقدمينه إلى السيدة الجالسة وراء مكتبها عند المدخل.»

دونت فيكتوريا اجوبة سريعة على لائحة الأسئلة ثم وعندما انتهت من عملها هذا، اخذت تلوح بها في الهواء وهي تقول: «لقد اتممت كل شيء.»

رفع الحارس حاجبيه متعجباً، لكنه سرعان ما هز كتفيه غير مبال وأشار إليها بالتوجه إلى المصعد. وأخذ قلبها يخفق بشدة وهي تدخل المصعد وتنظر إلى لوحة الازرار المرقمة للطوابق، وأخذت تسائل نفسها، أي طابق يا ترى؟ أي زر يجب ان اضغط عليه؟

تقدم الحارس إليها قائلاً: «ال كواترو بيسو، أي إلى الطابق الرابع، هل فهمت؟»

بلعت فيكتوريا بريقها وقالت: «سي، نعم. تذكرت الآن.»

ضغطت على الزر المطلوب، وحاولت ان تخفي العصبية والتوتر التي بدأت تشعر بهما. قفل باب المصعد وبدأ بالصعود إلى الطابق الرابع.

دلتها غريزتها بأن مكتب ل.ر. كامبل من غير الممكن ان يكون في نفس الطابق الذي يهتم بشؤون الموظفين، لذا اضطرت على ان تخرج من المصعد عندما وصل إلى الطابق الرابع، لئلا الحارس كان يراقب لائحة الارقام في الطابق الأسفل، ورأت وكما قال لها الحارس سيدة وراء مكتبها وهي منهمكة في طبع رسالة على الآلة الكاتبة. أخذت فيكتوريا نفساً عميقاً وبدأت تخطو خطوات واسعة إلى آخر الممر ونحو سلالم الطوارىء. وما كادت تصل إليها حتى سمعت صوتاً ينادي من ورائها: «سينيوريتا، سينيوريتا؟ لحظة من فضلك!» استدارت فيكتوريا على مهل نحو الصوت، ورأت السيدة قد وقفت وهي تحدق بها.

«انني...» وترددت فيكتوريا قليلاً، ثم رفعت لائحة الطلب كي تراها السيدة. «كنت افتش على مكتب شؤون الموظفين، وقد قال الحارس لي...»

www.elromancia.com

«هل دونت كل ما يلزم؟ اعطني اياها اذاً.»

لم يكن لديها أي خيار آخر سوى ان تفعل ما طلبته منها السيدة. وعادت فيكتوريا من حيث دخلت وهي تمشي ببطء وسلمت الطلب إلى السيدة.

«اي نوع من الوظائف تفكرين بها؟ على أية حال هذا لا يهم... لا بد وان جوزيه قد اخبرك، بأننا لسنا بحاجة إلى موظفين في الوقت الحاضر.»

لكن السيدة قطبت حاجبيها وهي تنظر إلى لائحة الطلب.

«أرى انك لم تجيبي على الأسئلة كلها، يا سينيوريتا.»

ثم نظرت إلى فيكتوريا، وقد كحلت عينيها بشك مريب:

«حتى انك لم تدوني اسمك بالكامل.»

ابتسمت فيكتوريا عندها بعصبية وحاولت ان تعود ادراجها إلى المصعد وهي تقول: «حقاً، ألم أقم بذلك؟ حسناً، اعتقد ان هذا لا يهم، الست معي في ذلك؟ اعني، بما انه لا وظائف شاغرة في الوقت الحاضر...»

«انتظري لحظة واحدة، سينيوريتا. لأنني اريد ان اطرح عليك بعض الاسئلة.»

ضربت فيكتوريا كتفها بالحائط من شدة توترها، وهي تدور بسرعة، وتدخل إلى المصعد، ثم ضغطت على زر الهبوط إلى الطابق الأسفل.

«سينيوريتا، انتظري...»

كان باب المصعد قد اقفل في ذلك الوقت، واتكأت فيكتوريا بضعف إلى حائط المصعد. وهي تفكر باضطراب شديد، يا له من عرض بارع هذا الذي قامت به. لكن قد تكون اتصلت بالحارس الذي في الطابق الأسفل، أو ربما بالشرطة

نفسها. وشيئاً ما انبأها، بأن السيدة قد قامت بأحد الخيارين، وقد يكون احداً ينتظر خروجها من المصعد الآن، وإذا بباب المصعد يفتح بطريقة آلية.

«ماذا يجري هنا؟»

كان رجل ينتظرها عند باب المصعد، وشعرت من الطريقة التي كان ينظر فيها إليها، بأنها قد ارتكبت جريمة ما. وكان في صوته برودة وقسوة، ولكن ليس مثل الخيوط المتوترة والمشدودة التي ظهرت على وجهه.

«حسناً، انني انتظر، قولي ما نوع اللعبة التي تحاولين ان تلعبينها؟»

تنفست بعمق وقالت: «اتسمح بأن تبتعد عن طريقي؟»

لكن هذه الخدعة الصغيرة لم تنفع معه، فوضع يديه على خاصرتيه وأخذ يحدق فيها مندهشاً.

«لقد طرحت عليك سؤالاً، ايتها السيدة، وللآن لم احصل على أي جواب له.»

انه ليس شرطياً، فكرت باضطراب شديد، أو ربما يظهر الشرطي هنا من دون أي سابق انذار، أو ربما يرتدون بذات حريرية خيطت لتتناسب مع منكبين عريضين، وجسد يفيض قوة ونفوذاً. اذاً، انه رجل امن، هذا ما هو فعلاً، رجل امن بصفة مشتركة. وهذا هو حال ل. ر. كامبل، يميل وينجذب إلى سرية وانعزالية تامة، وعنده حارس مثل هذا، وتحت امرته ورهن اشارة منه.

رفعت فيكتوريا عينيها وقالت أخيراً: «ابهذه الطريقة يعامل الضيوف في شركة كامبل؟»

ضاقت عيناه وقال: «لك من الوقت دقيقة واحدة لتعطيني

www.elromancia.com

جواباً واحداً وصريحاً.» وكان يوجه كلامه بلطف خبيث.

قالت له وهي تتمالك اعصابها: «وأنت لديك دقيقة واحدة لتبعد فيها عن طريقي وتأذن لي بالمرور.»

لمعت عيناه السوداوان ونادى: «جوزيه؟»

قفز الحارس من ورائه وقال: «نعم، سينيور؟»

«ما نوع العمل الذي ارادته السيدة؟»

«لم تقل شيئاً بخصوص ذلك، سينيور.»

ابتسم عندها الرجل بخبث وقال: «لا، انها لم تقم بأي شيء من ذلك. كما أنها لم تدون أي عمل تريده على لائحة الطلب، ايضاً.»

بلعت فيكتوريا ريقها وهي ترتعش: «انني... انني لم اكن على علم ومعرفة بالوظائف الموجودة حالياً.»

«آه، فهمت. اذاً، وفي ظل هذه الظروف كنت ستقومين بأي عمل متيسر الآن.»

هزت برأسها مؤيدة كلامه: «نعم.»

«ربما تطبعين على الآلة الكاتبة.»

«نعم. انني...»

لوى بفمه بلؤم وتابع يقول: «أو ربما عاملة تنظيفات.»

تورد خدا فيكتوريا واحست بغليان يجري في عروقها. وقالت: «اسمع، لا أعلم لماذا تقوم بكل ذلك، ولكنني...»

«الا تعلمين فعلاً؟»

هزت برأسها نافية وقالت: «لا. أو ربما لأن مديرك له نزعته وميوله إلى السرية التامة...»

ادركت بعد ان تفوهت بتلك الكلمات، بأنها اخطأت وتسرعت في قولها. واخذت عينا الرجل تومضان بشرارة

الغضب، وتقدم نحوها فتراجعت تلقائياً إلى داخل المصعد، ثم اقفل الباب بعد ذلك وهما سوية داخل المصعد.

«ما الذي تعرفينه تماماً عن مديري؟»

اشاحت فيكتوريا بنظرها نحو الباب الذي اقفل وقالت بتوسل وبرجاء: «ارجوك، دعني اخرج من...»

مد يديه واخذ يضغط على كتفيها بشدة، واحست بقوتهما على كتفيها الضعيفتين.

«لا اعرف سوى... سوى ما يعرفه كل انسان، بأنه يفضل ان يعيش بسرية تامة عن الآخرين.»

قال عندها بحدة: «ذلك لأنه يفضل هذا النظام لحياته الخاصة ولا يعني ابداً بأن له نزعة وميول لذلك.»

«أرجوك، انني لم أقم... انني...» وتكسرت الكلمات فوق شفتيها وتلعثمت لا تدري ماذا تقول. كان الهواء قد اصبح خانقاً ومميتاً في المصعد، وهو يقف قريباً جداً منها، حتى انها استطاعت ان تتنشق رائحة عطره، ولاحظت ذلك البريق الخطر داخل عينيه. وتذكرت بأن كريغ كان أيضاً في مثل هذا القرب منها، وكان الغضب يجتاحه بعنف، وكان...

لا تؤذني، هذا ما كانت تفكر به، واحست بوهن وضعف بالغين وأضواء المصعد تختفي ومن ثم تعود.

«ايتها السيدة! اسمعيني، ولا تحاولي ان تدفعيني هكذا، ماذا جرى لك؟»

كانت فيكتوريا في حالة يرثى لها، ولكنها استطاعت ان تسمع بعض اللعنات تصدر عنه.

عندما استفاقت من ذلك الكابوس النفسي، وجدت نفسها في القاعة في الطابق الأول، وهي تتململ تعبة على كرسي

www.elromancia.com

جلست عليه. وكان قد وضع خرقة رطبة على جبهتها، ورجل الامن قربها جاثماً على ركبتيه وعيناه مسمرتان على وجهها.

«هل تشعرين بخير؟»

هزت فيكتوريا برأسها وقالت: «نعم، انني بخير.»

نظر إليها طويلاً، ثم تنفس الصعداء وقال: «آسف. لم اقصد ابداً اخافتك.»

ابتسمت وهي ترفع الخرقة عن جبهتها: «انك لم تقم بذلك.»

اشتدت ملامح وجهه وقال: «اعتقد انني جلبت الرعب والخوف لك، لأنك طلبت مني، بألا أوذيك.»

تورد خداها خجلاً وقالت: «هل فعلاً قلت ذلك؟» اشار برأسه بالايجاب، وهزت هي كتفيها بلا مبالاة وقالت: «حسناً، انك... انك مخيف جداً.»

«اسمعي. ان هذه سان جوان وليست الغرب الأوسط.»

حدقت فيكتوريا في وجهه: «كيف عرفت بأنني...؟»

ابتسم هذه المرة، ولكن ليس بمكر، وقد خففت هذه الابتسامة من ملامح وجهه القاسية، وادركت فيكتوريا لأول مرة منذ ان التقت به، بانه فعلاً وسيم الملامح.

«تبدين وكأنك تنتسبين إلى مكان ما قرب جريت لايكس، أو ربما من ولاية ويسكونسن؟»

«آه، ربما من طريقة لهجتي ولكنني...»

ضحك بلطف وقال: «نعم. من طريقة لهجتك.»

قال لها حين نهضت: «اسمعي، سأطلب لك سيارة اجرة.»

«لا. شكراً لك، لكنني اميل إلى السير على الاقدام، كما انني بحاجة إلى الهواء النقي.»

وتحركت لتتجه نحو الباب الخارجي للمبنى. واحست بتثاقل شديد وهي تخطو، واخذت تفكر كم انها لخبطت وقلبت الأمور! اولا مع الحارس، ومن ثم مع ذلك الرجل الامني. انهما حتماً لن ينسيا صورة وجهها أبداً، لتعود وتجرب معهما مرة أخرى أو لتسأل اين تجد مكتب كامبل، فهذا سيكون من المستحيلات. وما عليها الآن سوى أن تقف في الشارع تنتظر خروجه، وتختفي خلف الاشجار وعندها سوف لا تراقب فقط كامبل بل تتجنب ان تقع مرة أخرى في قبضة هذين الرجلين.

«توقفي، أنت.»

كانت قد وصلت إلى الباب الخارجي عندما جاء صوته منخفضاً ولكنه صلباً مثل الفولاذ، وجعلها تقف جامدة. تنفست بعمق وهي تستدير لتواجهه تماماً.

«تذكري ما قلته لك، ان هذه هي الجزر الكاريبية، وليست الولايات المتحدة، وأمور كثيرة تحدث هنا.»

«انني لا افهم ماذا تعني.»

«يوجد العديد من الأغبياء في هذه الجزر.»

قطبت حاجبيها وقالت: «وما علاقتي أنا بذلك؟»

«كانت المؤسسات الأميركية مستهدفة في الماضي. والناس... والناس الذين تبدو عليهم امارات البراءة والسذاجة، كانوا يمشون في الشوارع ويقومون بأعمال غير اعتيادية.»

وقع كلامه هذا عليها وقوع الصاعقة. «هل هذا ما ظننته بي؟ بأنني كنت...»

هز بكتفيه وقال: «كل شيء معقول.»

احست بخوف جديد ثم قالت: «لهذا السبب كان رئيسك... السيد كامبل... يعيش بسرية تامة؟ هل هو... هل هو طفل... وعائلته في خطر؟»

«لا، لا. ليس من اجل ذلك. كنت احاول فقط ان أجعلك تعرفين سبب...» ثم توقف عن الكلام فجأة، وعادت البرودة لعينيه: «لماذا كل هذا الاهتمام بالسيد كامبل؟»

«انني فقط، أظن أنه لا يجوز لأحد أن يعيش في مثل هذا الخوف الكبير، هذا كل شيء.»

ابتسم بثبات وعزم وقال: «كلنا نخاف من شيء ما، وكما يقولون، المجنون هو وحده الذي لا يخاف.»

تحول عنها، وتوجه مسرعاً نحو المصعد. ولاحظت التوتر على عضلات كتفيه.

ادار بجسده فجأة نحوها، والتقت نظراتهما وتشابكت، وأحست مرة أخرى بدوامة تدور في داخلها بعنف. ثم استدارت هي الأخرى ومشت بسرعة نحو الباب الالكتروني.

ثم خرجت منه إلى الشارع، ومشت دون ان تلتفت إلى الوراء وتنشقت الهواء النقي متمتعة بأشعة الشمس.

الفصل الثاني

استأجرت فيكتوريا سيارة في وقت مبكر من صباح اليوم التالي وقادتها إلى منطقة هاتو راي. كان من الغباء انها لم تفعل ذلك البارحة، وعلى كل، ان ما قامت به البارحة كان يدل على غباء شديد منها، وقد دخلت مبنى كامبل بطريقة تلفت النظر كأنها كانت تلعب دور التحري المبتدىء.

لقد نجت من عواقب عملها بسهولة عجيبة. والرجل الذي كان يخاطبها، قد يكون رئيس جهاز الأمن، ومهما كانت رتبته، فمن الأفضل لها عدم لقائه مرة أخرى، لأنه ليس بالرجل السهل.

ارتجفت بهلع عندما اقتربت بسيارتها من مبنى كامبل. وفكرت بأنه مهما يكن او مهما حصل فسوف لا تكرر اللقاء بذلك الرجل مرة أخرى. وقد كانت اعجوبة عندما تركها تذهب في سبيلها، ليس لأن هناك أسباب تعوقها وتقطع عليها الطريق، ولكن لأنه كان يبدو عليه أنه رجل لا يهاب ولا يكترث للقوانين والأنظمة، رجل يعيش على نظام شيفري، قاسٍ وغير متسامح.

وجدت موقفاً صغيراً مقابل مبنى كامبل مباشرة، فأوقفت السيارة إلى جانب الطريق، ثم اطفأت محركها. واستوت بارتياح على المقعد. كانت قد علمت بينما كانت تتناول فطور الصباح، أن اليوم الذي يلي يوم الغد سيكون يوم عطلة، وستقفل كل المحال والمؤسسات التجارية لغاية يوم

الاثنين المقبل، والذي سيصادف ايضاً، يوم رجوعها إلى الولايات المتحدة.

مضت ساعات ذلك الصباح بطيئة جداً بالنسبة إليها، ولما كان بعد الظهر بقليل، خرج العمال من مبنى كامبل على نحو جماعات انما، قليلة العدد في كل مرة. ولكن لا أحد منهم كان يشبه من في الصورة التي في حقيبة يدها.

كانت بعض الموظفات تحملن اكياساً من الورق، وذهبن جميعاً إلى الحديقة العامة ليجلسن بارتياح على المقاعد الخشبية ثم أخذت كل واحدة تثرثر باللغتين الانكليزية والاسبانية وهن يتناولن طعام الغداء. وكانت فيكتوريا قد اشترت بعض الفاكهة والبسكويت، ولكن بقاءها في السيارة وفي ذلك الجو المحموم والذي يضيق الأنفاس جعلها تعدل عن تناول أي شيء منه.

تناولت قبعة من على المقعد الخلفي، وجمعت شعرها الداكن إلى أعلى رأسها ووضعت القبعة عليه. نظرت بسرعة في مرآة السيارة، وتأكدت بأن القبعة ونظارتيها الشمسية قد غيرتا من شكلها الطبيعي.

كما ان السيدة التي التقت بها في الطابق الرابع من مبنى كامبل، لم تكلف نفسها بالنظر إليها وهي تمشي بسرعة لتلحق برفيقاتها إلى الحديقة العامة. انتقت فيكتوريا مقعداً خشبياً اتاح لها رؤية الشارع عبر بقعة مملوءة بالأزهار والرياحين، وأخذت تتناول طعامها القليل. ثم سحبت دليلاً سياحياً من حقيبة ظهرها وأخذت تطالع ما فيه، لتنسى ساعات الانتظار المملة.

أخذت الساعات تمر ببطء شديد، والهواء الساخن

والعابق برائحة الأزهار جعل فيكتوريا تشعر بالنعاس. اقفلت الكتاب بعد برهة وجيزة، وأخذت تراقب الناس الذين في الحديقة العامة.

بدأ العمال من جديد يخرجون من مبنى كامبل بعد أن تجاوزت الساعة السادسة ببضع دقائق. وانتظرت فيكتوريا حتى خرج آخر عامل إلى الشارع، ثم ترجلت من السيارة ومشت نحو الحديقة العامة باعياء وحزن يحطم قلبها، وبعد ذلك وبصورة مفاجئة، تقدمت سيارة سوداء تبهر العيون بلمعانها وتوقفت امام المبنى تماماً.

خرج السائق من السيارة مرتدياً بذته الرسمية. وفتحت ابواب مداخل المبنى بصورة آلية، واسرع رجل بالخروج منها. وكان يضع على عينيه نظارتين ذات اطار معدني، وشعره مسرح إلى الوراء. هتفت فيكتوريا: «آه، نعم!»

نظرت إليها باستغراب سيدة كانت تجر عربة اطفال. فاضطرت فيكتوريا ان تبتسم لها بخجل.

عادت تقول: «انه هو. انه...» وابتسمت السيدة لها بعصبية عند ذلك، ولكن فيكتوريا بدت غير مكترثة من تصرفها وتابعت تقول ضاحكة: «انني آسفة...»

هل اصيبت بمس في عقلها؟ انها تقف هناك تثرثر بغباء، بينما كان السيد كامبل قد دخل إلى المقعد الخلفي من السيارة. وادركت بأنها ستفوت عليها الأمر الذي جاءت من أجله، فأسرعت تتناول المفاتيح من حقيبتها وتتوجه بسرعة إلى مكان سيارتها التي استأجرتها لهذه الغاية.

قالت وهي تحاول أن تدير محرك السيارة: «ما الأمر؟ هيا!»

www.elromancia.com

انطلقت السيارة السوداء في تلك الأثناء وهي تشق طريقها في الازدحام، عندها دار محرك سيارة فيكتوريا، ضغطت بقوة على دواسة البنزين مما جعل السيارة تحدث صوتاً قوياً ثم انطلقت وراء السيارة الأخرى. كانت دواليب سيارتها قد قفزت فوق حافة الرصيف من شدة انفعالها لكنها لم تكترث لذلك، بل بقيت في سرعتها.

كان من الصعب عليها أن تبقى خلف السيارة تماماً، وذلك بسبب الازدحام الخانق، وانطلقت اصوات الأبواق من كل صوب وجهة بينما كانت اضواء اشارة المرور، تنتقل من الأحمر إلى الأخضر والعكس بالعكس. واستطاعت، وبطريقة ما، ان تبقي السيارة تحت ناظريها، وكانت تتجاهل في عملها هذا تلك اللعنات الغاضبة التي يوجهها إليها السائقون الآخرون لأنها قطعت مرتين وبسرعة عندما اشار لها الضوء الأحمر بالتوقف عند تقاطع الطرق.

دخلت اخيراً إلى شارع عريض يؤدي إلى شمال الجزيرة وبعيداً عن صخب المدينة. فزادت عندها سرعة السيارة السوداء، وزادت فيكتوريا ايضاً من سرعة سيارتها، لكنها بقيت حذرة على ان تبقى بعيدة على مسافة معينة عن السيارة السوداء.

تابعت ملاحقتها للسيارة وهي تنحرف إلى طريق فرعية منحدرة، وبعد ذلك رأت مياه البحر تتلألأ امام ناظريها، وظهرت يافطة كتب عليها: نادي نوتيكو.

بدا مبنى النادي متناسق وقد بني ورصف بخزف زهري اللون، لكن السيارة السوداء تجاوزت النادي ولم تتوقف حتى وصلت إلى رصيف الميناء الصغير، حيث وجدت

مركباً مغطى بغطاء املس يتهادى بسكون فوق المياه الزرقاء.

اوقفت فيكتوريا سيارتها، ورأت ان الرجل الذي كانت تلاحقه، قد خرج من السيارة وأخذ يمشي بخفة فوق الرصيف الذي يمتد إلى داخل البحر. واستدار عندها سائق السيارة السوداء ليعود ادراجه، وأخذ يتقدم من سيارة فيكتوريا، فما كان منها الا أن حجبت وجهها عندما اصبح قريباً جداً منها. ونظرت في المرآة، ورأتها تنعطف في المنعطف إلى ان اختفت تماماً عن ناظريها.

رأت بعد ذلك، ل. ر. كامبل يمشي متوجهاً نحو كابين للملاحين الذي يقع عند نهاية الرصيف. وصعد إلى سطح مركبه، وأخذ يلوح بيده إلى رجل يجلس مسترخياً بتكاسل في مركب صغير يرسو قريباً من مركبه، وسمعت فيكتوريا بعد ذلك هدير محرك المركب. وأخذت تراقب بيأس مركب كامبل الذي بدأ يتحرك وهو يشق طريقه عبر اليم.

ماذا الآن؟ وهل قطعت تلك المسافة لتصل إلى مثل هذه النهاية التي سدت عليها الطريق؟ وقد يعود كامبل بعد مضي ساعة من الوقت، وقد لا يعود هذا اليوم ويؤجل عودته إلى نهار الغد. أو ربما انطلق في رحلة بحرية لتمضية عطلة نهاية الأسبوع.

سمعت عبر الأثير الحار صوت محرك مركب، وكان الرجل الذي حيا السيد كامبل يمسك بالحبال التي تربط المركب بالميناء وهو يفكها. ربما يكون على علم إلى أين يتوجه السيد كامبل في مركبه وكم من الوقت سيستغرق في رحلته هذه.

www.elromancia.com

كان الرجل قد حرر آخر حبل معقود في الميناء فصرخت فيكتوريا بأعلى صوتها. «انتظر!» وفتحت باب السيارة بسرعة وأخذت تعدو نحو رصيف الميناء وعادت تصرخ: «انتظر! ارجوك، سينيور.»

التفت الرجل لينظر إليها وقال: «نعم؟»

تمتمت بأنفاس متلاحقة: «هل تتكلم اللغة الانكليزية؟»

ابتسم الرجل وقال: «نعم.»

«ارجوك... اتعلم إلى اين يتوجه ذلك المركب الذي انطلق منذ برهة؟»

«آسف، انني لا أعرف شيئاً من ذلك.»

«لكن يجب أن تعرف، ولا بد ان يكون لديك أية فكرة.»

نظر إليها ببرودة ليقول: «آسف، فأنا لا استطيع مساعدتك في هذا الأمر، سينيوريتا.»

طأطأت فيكتوريا برأسها بعد لحظات وقالت بلطف: «شكراً على أية حال.»

أخذت تراقبه وهو ينطلق بمركبه إلى الأمام، وبلحظات وجيزة كان قد انسحب من المرفأ كله.

وقفت فيكتوريا تحدق بالأفق، وبعد ذلك تحولت لتسير إلى حيث تركت سيارتها، وكانت قد تركت باب سيارتها مفتوحاً من شدة قلقها واضطرابها. ومع وصولها إليها، احست بتكتل يحتقن في حلقها. ثم اسندت جسدها إلى السيارة باعياء وهي لا تدري ماذا تفعل الآن.

ماذا سيكون موقفها التالي يا ترى؟ لقد افسدت كل محاولة قامت بها لغاية الآن، وقد كان التحري الذي اوكلته سابقاً، على حق، بأنها ليس لها قدرة وافية لتمسك بزمام

هذه المشكلة بمفردها. ادركت انها انفقت ما كان لديها من مال تقريباً، وجاءت من مسافة عدة آلاف من الاميال، ولكن من أجل ماذا؟ لتضيع وقتها سدى ومن غير فائدة، هذا فعلاً ما قامت به حتى الآن، والوقت الثمين قد ضاع منها، الوقت الذي كان...

ايقظها من افكارها المضنية صوت بوق سيارة، ودارت فيكتوريا بسرعة لترى سيارة ظهرت من وراء المنعطف وهي تنطلق بسرعة نحوها. وأخذت تنزلق بسرعة وعلى نحو خطر فوق الطريق المرصفة بالحصى بينما كان يحاول السائق بكل ما له من قدرة لكبح جناح سيارته المندفعة، ولما اخفق عاود يطلق الزمور الخشن والمنذر ولمرات عديدة، لكن كان قد فات الأوان لذلك. وأخذت تراقب بخوف شديد مدى اصطدام السيارة الغريبة بباب سيارتها المفتوح، وارتفع ذلك الباب عالياً في الهواء مثل قذيفة صاروخية، وهو يتقلب عدة مرات من هول الصدمة قبل ان يسقط ويرتاح من دورانه الكبير على بعد عدة أمتار منها، وكان لصوت ارتطامه المخيف بالأرض تأثير بالغ تردد صداه في اعماقها، وبعد ذلك وجدت نفسها وقد هوت على الأرض، وكأنها تتعارك مع حالها كي يصل الهواء إلى رئتيها.

خرج الرجل من سيارته، وانحنى فوقها بقلق. حاولت فيكتوريا ان تركز عينيها على وجهه، لأنه كان يطرح عليها سؤالاً ثم يعيده ويكرره: «هل أنت بخير؟»

هل كانت بخير فعلاً؟ وبلعت ريقها، وهي تحرك وتتحسس بحذر ووجل ذراعيها وساقيها. واحست برجفان غير واضح في صدغها، لأنها سقطت على

www.elromancia.com

الأرض بقوة وعنف شديدين، كما وانها احست أيضاً بألم شديد في عظام جسدها.

«اعتقد... اعتقد ذلك.» ثم مدت يديها لتضغط براحتهما على الأرض في محاولة لتنهض واقفة: «اريد فقط أن أرى إن كنت استطيع...»

قال بلهجة آمرة: «لا تتحركي. دعيني أرى أولاً ما هي الاصابات التي سببتها لنفسك.»

وكانت حتى هذه الساعة، لم تتمكن من رؤية وجهه وعندما انتهى من ذلك تراجع قليلاً عنها.

«حسناً، يبدو وكأنه لم يصبك أي مكروه، وليس بك أي كسر واحد. وانه من الأفضل ان ترتاحي بعض الوقت في هذا المكان.»

تألمت عندما لمس احد صدغيها وتراجعت قليلاً عن يده التي امتدت إليها.

«يؤلمك صدغك؟»

«بالطبع، انه يؤلمني.» ورفعت يدها تتلمس مكان الرضة بحذر شديد. وكانت قد بدأت تتورم اكثر من الأول، ثم شعرت بسيل بطيء وحار في مقدمة اصابع يدها، وقالت بهلع: «هل انزف؟»

«نعم، لكن لا تخشي شيئاً، انه جرح بسيط.» ثم وضع محرمة حريرية فاخرة على الجرح: «هيا، امسكيها لمدة دقيقتين وحتماً سينقطع النزيف بعد ذلك.»

«هل أنت متأكدة من انك بخير؟»

«نعم. انني بخير، انني فقط... أعني سأكون افضل حالاً عندما أقف على قدمي.»

أخذ يساعدها على الوقوف وقال: «لا اعتقد بأنه من المستحسن ان تحاولي ذلك الآن، فلماذا لا تبقي كما أنت بينما احضر...»

«لا، أنا لست بحاجة إلى أية مساعدة.» وجاء صوتها حاداً بعض الشيء. كان هناك شيء ما من طريقة امساكه بها بدا وكأنه مألوفا. وحاولت ان تركز اكثر على هذا الأمر، لكن ذلك جعلها في حيرة أكثر: «أريد... أريد أن أقف، لأنني أعرف تماماً بأن ذلك سيساعدني أكثر.»

شعرت بأنه يمانع لفكرتها هذه بينما كان يسهل عليها عملية الوقوف كي تسند جسدها إلى السيارة، وقال لها: «كيف تشعرين الآن؟»

«احسن حالاً من قبل.» وعادت تفكر لو انها تستطيع أن ترى وجهه بوضوح أكثر. ثم ابتسمت له وهي تعيد إليه محرمته: «شكراً لك، وعذراً، ربما اكون قد افسدتها لك.»

ضحك، لكن ضحكته بدت مبهمة وغير سارة لها، وقال: «لا تقلقي بشأنها، ان ذلك يجعلك أكثر ارتياحاً، وسوف اجعل شركة التأمين تضيفها إلى فاتورة حسابك.»

«فاتورة حسابي؟»

«انني متأكد من ان ذلك سيضحكهم لبعض الوقت. فالتصليحات التي ستجرى لسيارتي لن تكلف اقل من عشرة آلاف دولار اميركي، وسيضاف إلى ذلك محرمة حريرية واحدة بخمسة دولارات.»

فغرت فيكتوريا فاها بدهشة بالغة وقالت: «لا بد وانك تمزح معي.»

www.elromancia.com

«ان كنت لا تصدقيني، ما عليك سوى ان تلقي نظرة واحدة على مقدمة سيارتي.»

«لكنك أنت الذي ضربتني ولست أنا...»

«حقاً، أنا الذي ضربت سيارتك، ايتها السيدة، ولست أنت التي فعلت ذلك. ومن حسن حظي انني لم اصدمك انت، ولكن لماذا اوقفت سيارتك في منتصف الطريق؟»

«لكن ذلك لن يغير من حقيقة الحادث. لقد رأيتك تنطلق بسيارتك بسرعة جنونية نحو سيارتي.»

«لكن الصحيح، أيتها السيدة، ان سيارتك كانت متوقفة في منتصف الطريق. اسمعي، هذا الحوار بيننا لن يأتي بأية نتيجة، لذا فلندع المحكمة تقرر من منا المخطىء، اتفقنا؟ اتريدين ان تحاولي الوقوف الآن دون ان تستندي إلى السيارة؟»

«نعم، ولكن بشرط، فأنا لا اريد أية مساعدة منك.»

«انتظري لحظة، لا يمكنك فقط أن...»

وقفت بسرعة بمفردها وهي تبتعد، لكنها شعرت بدوران شديد في رأسها وبأن الأرض تميد تحت قدميها وأخذت تتمايل وتترنح وهي لا تستطيع السيطرة على توازنها. أسرع الغريب يمسك بها، وكانت ذراعه تلفها بقوة، وأخذ يجرها وصولاً إلى سيارته.

«هيا الآن.» وفتح باب سيارته قائلاً: «اجلسي.»

«انني... انني بخير.»

«كيف تقولين ذلك وكدت ان يغمى عليك؟»

«لا، لم يكن كذلك...» وذبل صوتها، واحست باضطراب شديد. وعاد احساسها يحذرها مرة أخرى، بأن هناك شيء مألوف لديها من تصرفات الغريب، وبأن...

«اسمع!» صرخت مرتجفة بسخط وهو يحاول ان يسحب قبعة الشمس العريضة عن رأسها. «ماذا تفعل؟»

«أريد أن القي نظرة على جلدة رأسك لأرى إن اصابتها كدمات، كان علي أن افعل ذلك قبل الآن، هيا انحني قليلاً إلى الأمام.»

«سبق وقلت لك انني بخير. وكل ما احتاج إليه، في الوقت الحاضر، لاصق طبي كي اضعه على صدغي.»

«هيا انحني إلى الأمام.» وأخذت اصابعه تضغط بنعومة على رأسها، ولم يكن لها أي خيار سوى أن تطيعه.

«لا أرى شيئاً هنا، ارفعي رأسك كي أرى عينيك ايضاً.»

«عيناي؟» تلعثمت فيكتوريا بكلامها، وعاد يؤكد لها احساسها بأن صوته كان مألوفاً لديها وليس بغريب عنها.

«نعم، لأنني اريد أن اتأكد بواسطتهما ان كنت قد اصبت بأي ارتجاج في المخ.»

«لكنني لا اشعر بأي شيء من ذلك، صدقني، انني...»

تذكرت فيكتوريا عند ذلك انها تعرفه جيداً. فهذا الرجل الذي صدم سيارتها، هو نفس الرجل الذي جعل حياتها جحيماً بالأمس في شركة كامبل.

«ارفعي رأسك من فضلك.»

لكن فيكتوريا وبدلاً من أن تنفذ ما طلبه منها، مالت أكثر إلى الأمام، فسقط شعرها على وجهها.

«اسمع، انني فعلاً اقدر اهتمامك بي وخوفك علي، ولكنني اؤكد لك بأنني بخير. صدقني، و... وانني في سرعة من أمري. لذا...»

«نعم، اعتقد فعلاً انك كذلك.»

www.elromancia.com

هل كان خيالها يوحي لها بذلك، أم هل هناك فعلاً خطر مفاجيء في نبرة صوته؟ وقاومت رغبتها الشديدة لترفع بصرها ولتقرأ تعابير وجهه.

أخذت نفساً عميقاً ثم قالت له: «لم لا تعطني اسم شركة التأمين التي تؤمن عندها؟ فسيارتي بالأجرة، وسوف اقوم بتغطية كافة التكاليف. كما انني سأقول للشركة بأن الخطأ قد صدر عني، وانني متأكدة من أنه لن يكون هناك...» وتوقفت عن متابعة كلامها وهي تراه يقترب أكثر فأكثر منها، لكنها عادت تكمل ما اردات ان تقوله: «أي مشكلة.»

«هيا اخلعي عنك نظارتيك.» كانت نبرة صوته لطيفة لكن فيها الكثير من الخطورة، وفهمت ان اللعبة اشرفت على نهايتها.

هزت رأسها بعناد وهي تقول: «قلت، لا.»

«اخلعيها.»

ارتدت إلى الوراء وقالت: «لا، اقصد، لأجل ماذا؟ لقد سبق وقلت لك بأنني اشعر...»

اسرع يمد يده ليسحب نظارتيها عن وجهها، فأطلقت صوتاً صغيراً مؤلماً. وخيم صمت طويل من هول المفاجئة، وبعد ذلك وكمن استفاق من صدمة ما، قال: «حسناً، حسناً، حسناً. الا ترين معي بأنه عالم صغير جداً؟»

«نعم، كما أنه... ليس كما يبدو.»

منحها ابتسامة باردة وقال: «أليس هو كذلك؟»

«لا، انني... انني...» ارتعدت عندما مال نحوها وضرب بيديه الاثنتين على حافة نافذة السيارة.

«إذاً؟ لماذا كنت تلاحقينني؟»

قالت وقد فاجأها بسؤاله هذا: «تقول الاحقك؟»

«هيا، لا تحاولي ان تلعبي معي دور البريئة التي لا ناقة لها ولا جمل، لقد نجحت مرة في ذلك، لكن...»

«اهذا ما تعتقده فعلاً؟ بأنني كنت الاحقك؟ لماذا اقوم بعمل كهذا؟»

«هيا، اصدقيني القول.»

قالت وهي تتجاهل ما قاله: «كيف كنت الاحقك وأنا التي سبقتك إلى هذا المكان، اتذكر ذلك؟»

طأطأ برأسه وقال: «فعلاً، هذا صحيح.»

شعرت أن الارتعاش الذي في داخلها قد خف قليلاً.

«إذاً، ماذا.»

«دعيني اتفهم الأمر اكثر، وأنك صادقة وكنت تتجولين فقط في مبنى كامبل نهار البارحة.»

«قلت لك، كنت ابحث عن عمل ما.»

«الآن، يا لها من صدفة غريبة من نوعها، وجدت طريقك إلى هذا المكان، إلى نادي اليخوت خاصتي.»

«هذا النادي لك؟ انني لم اكن اعلم ذلك.»

ابتسم بثبات: «اصحيح هذا؟»

«اسمع، كنت اتجول بسيارتي لرؤية الجزيرة... و... ولمحت يافطة كتب عليها شيء بخصوص اليخوت.»

«لكن هناك العديد من الأماكن التي تؤجر المراكب على طول الطريق.»

«حسناً، لم اكن اعرف ذلك قبلاً، وكما قلت لك كنت فقط... كنت فقط اتجول بسيارتي، ورأيت... تلك اليافطة. وعرفت

www.elromancia.com

بأنها تقول شيئاً عن المراكب، وفكرت... وفكرت ربما قد استأجر واحداً منها.»

سكتت وانتظرت منه ان يقول شيئاً، لكنه لم يفعل، بل تابع ينظر إليها، ولم تستطع ان تقرأ شيئاً من تعابير وجهه الجامدة. وبعد لحظة، حاولت الخروج من السيارة.

«إلى أين أنت ذاهبة؟»

«أحس... بأنني اكثر نشاطاً من ذي قبل.» ونظرت إليه وهي تبتسم له وبدت وكأنها تقوم بذلك غصباً عنها. «أريد فقط ان اجلب اوراق التأمين من سيارتي و...»

«لن يكون ذلك ضرورياً.»

«حسناً، وشكراً لك في ذلك. لكنك كنت على حق، فقد كان ذلك خطأ مني.»

عاد يبتسم لها ببرودة وهو يقول: «نعم، بالتأكيد كان ذلك خطأ منك، والآن، هل تسمحين وتتفضلين معي، من فضلك؟»

حدقت فيكتوريا في وجهه. «ماذا؟»

«ذلك لأن كلتا السيارتين لن تستطيعا الانتقال إلى أي مكان، انهما بحاجة إلى شاحنة تقطرهما في الحال.»

نظرت إلى سيارتها وتأكدت من انه على حق في ذلك، وليس من الضرورة ان تكون عاملة ميكانيك لتدرك بأن ولا سيارة من الاثنتين تستطيع نقلهما إلى سان جوان.

قالت بتململ: «الآن، ماذا سنفعل؟»

اقفل الغريب باب السيارة، ودار إلى جهة السائق وأخذ يفحص الضرر الذي الم بها، ثم سحب المفتاح من داخلها.

سألها: «ما اسمك؟»

ترددت قليلاً، فهي لا تستطيع ان تبوح له باسمها. ذلك لأنه

قد يذكر اسمها أمام رئيسه، وقد يبعث ذلك الشك في نفس ل. ر. كامبل. انه لا يعرفها بالطبع، ولكن اسمها مدون على شهادة مولد الطفلة، وقد يظن السيد كامبل عند ذلك بأنها قطعت تلك المسافات لتخلق له المتاعب والمشاكل...

قطع عليها حبل افكارها ليقول: «حسناً؟ هل سببت لك تلك الرضة على رأسك فقدان في الذاكرة؟»

«اسمي فيكتوريا. فيكتوريا هاميلتون.»

«حسناً، أيتها الآنسة هاميلتون، ما سنقوم به الآن، هو ان نطلب شاحنة لتقطر السيارتين، وسنرى ما الذي نستطيع فعله للجرح من تنظيف وإلى ما هنالك من معالجات طبية.»

قطبت حاجبيها عندما امسك بذراعها ومشى معها في الطريق الممتدة. «هل النادي إلى الجانب الآخر من هذا المكان؟» لكن الرجل لم يعط أي جواب، فعادت تسأله: «اعذرني، ولكن اليس النادي يقع من ورائنا تماماً؟»

نظر إليها قليلاً، ثم عاد ينظر إلى الميناء: «نعم.»

«لماذا لا نتوجه إليه، إذاً؟»

«لقد تجاوزت الساعة الثامنة الآن، والنادي يقفل ابوابه في الليل.»

«إذاً، خذني إلى اقرب مكان فيه هاتف، ولا بد انه هناك واحد في هذه الانحاء.»

توقف الرجل فجأة ويده ما زالت تمسك بذراعها والأخرى تبحث في جيبه عن علاقة مفاتيح.

أخذت فيكتوريا تحاول الافلات منه عندما حاول ان يمسكها بيديه، وتملكها رعب وهلع شديدين.

«ماذا تفعل؟»

www.elromancia.com

«هيا بنا، آنسة هاميلتون.»

«لا، لقد قلت لي بأنك ستأخذني إلى اقرب هاتف.» وصرخت عالياً عندما رفعها بين ذراعيه: «انزلني. هل تسمع ما اقوله لك؟» وأخذت تضربه بشدة على كتفيه، لكنه لم يكترث بل تابع خطواته الواسعة على طول المنزلق الذي يؤدي إلى المركب: «ما الذي تظن انك تفعله؟»

«انك بحاجة إلى هاتف وإلى علبة اسعافات أولية. وانني آخذك إلى حيث تجدين الاثنين معاً.»

«تقصد، إلى المركب؟» وعادت تضرب كتفيه بقوة أشد: «هل أنت مجنون؟ فأنا لن اضع قدماً في ذلك المركب، وسوف ابلغ عنك رئيسك. يمكنك ان تتأكد من ذلك، أيها السيد... سيد.»

نظر إليها وهي تحاول التخلص من بين ذراعيه، مبتسماً بلؤم وبرودة. «فاتني ان اعرفك بنفسي، اليس كذلك؟» وجاءت كلماته كوقع الصاعقة على قلبها. «انني ل. ر. كامبل، أيتها الآنسة هاميلتون. لكن، لو أخذنا بعين الاعتبار، كم تعرضنا إلى بعضنا البعض في اليومين السابقين، فلا أظن انه حتى اميلي بوست تعارض ان ناديتني باسمي، رووركي.»

الفصل الثالث

هذا غير معقول! انه لا يمكن ان يكون هذا هو الرجل الذي قطعت المسافات وتكبدت أموالاً طائلة بحثاً عنه. وما تعرفه أيضاً ان ل. ر. كامبل أكبر سناً من هذا، وانه أيضاً خجول رزين ورصين وفوق كل ذلك أكثر لطفاً من هذا. وهو من نوع الرجال الذين يفضلون الجلوس باسترخاء في ليلة باردة قرب المدفأة، ومن ثم يحضن طفلاً ناعساً بين ذراعيه.

لكن اية صفة من كل هذه الصفات تنطبق على هذا الرجل، لأنه يمثل التسلط والقوة، وليس من النوع الذي ترتاح إليه وتطمئن. كما وانه من المؤكد لا يعرف شيئاً عن حضانة الأطفال، ولكنه على معرفة بما يختص بالمرأة وشؤونها.

لا يمكن أن يكون هذا الرجل ل. ر. كامبل، ولا بد ان يكون دجالاً منافقاً. لكن لم يعد يهم الآن ماذا تكون هويته، لأنه مهما حدث، فهو يحملها غصباً عنها لينقلها إلى المركب الذي ادعى انه خاصته، وأخذ قلب فيكتوريا يخفق بشدة من الخوف. «انزلني الآن وبسرعة.» وعادت تضرب كتفيه بيديها المرتجفتين مرة أخرى، وضربته بشدة أكثر لدرجة انه استطاع أن يشعر بالقوة الجديدة التي ظهرت في يديها، لكنه لم يتوقف. «قلت لك انزلني فوراً، وإلا سأصرخ بأعلى صوتي.»

www.elromancia.com

«اصرخي عالياً وعلى مدى ما يصل صوتك، فطيور النورس سيسعدها أن تضم صوتها إلى صوتك.»

«لا أعرف بما تفكر أن تقوم به، لكنك لن تهرب بعد عملك هذا معي. هل تسمعني جيداً؟ اقسم لك بأنني سوف...»

«أظن انك قد قرأت كثيراً من القصص، أيتها الآنسة هاميلتون.» وابتسم لها وهو ينزلها على ظهر المركب. «ربما انك انغمست وانجذبت كثيراً إلى الأشياء الخيالية. فالمارد الذي كان يخرج من القمقم ليقول لك: شبيك لبيك، أنا بين يديك قد مات منذ ألوف السنين في هذه الجزيرة.»

واجهته فيكتوريا بوجه غاضب، وبعينين تشتعلان سخطاً وقساوة: «اسمع يا سيد... وأياً تكن...»

«لقد سبق وعرفتك باسمي.»

«نعم. وهل تظن بأنني صدقت انك ل. ر. كامبل.»

«كم كان من الأفضل أن نتعرف على بعضنا البعض قبل أن تناديني باسمي؟»

عادت تشعر بالألم في صدغيها، لا، انه ليس الرجل الذي تبحث عنه، وعليها أن لا تسمح لنفسها بأن تفكر بهذه الطريقة، وخاصة إذا كانت تؤمن بأن السنتين الماضيتين كان لهما أي معنى لها.

قالت ببرود: «انك لست ل. ر. كامبل.»

خف ذلك البريق الساخط في عينيه، مرة واحدة ليحل محله وجه قاس الملامح لكنه متوعد ومتهدد.

«كما وانك لم تحضري هنا بمحض الصدفة.»

«لقد قلت لك كيف حدث كل ذلك وقد... وقد رأيت تلك اليافطة و...»

«لقد سمعت هذه القصة مراراً، آنسة هاميلتون وعليّ أن

أصدق قصتك الملفقة هذه، وأنت تلاحقيني من يومين، وكل ذلك فقط بمحض الصدفة.»

«انها... انها الحقيقة بعينها.»

«هذا حسب اعتقادك أنت؟»

«اسمع، ليس من عادتي أن اختلق الأكاذيب.»

«هذا شيء مثير للدهشة، وأنا لست كذلك أيضاً.»

وأخذ الألم في صدغيها يزداد ويقوى أكثر هذه المرة.

«أتشعرين بخير؟»

انها لم تكن تشعر بخير على الاطلاق. وهي ترى كل الأشياء قد أصبحت أكثر غموضاً أمامها، والألم الذي كانت تعاني منه في رأسها، كان... كان...

«آنسة هاميلتون.» وأحاط كتفيها بيديه الاثنتين. «هل أنت بخير؟»

«نعم. انني فقط... أشعر ببعض التعب، فقد كان يوم طويلاً ومرهقاً بالنسبة إلي.»

لوى بفمه وهو يحررها من يديه وقال: «وكأنه لم ينته بعد.» وأخذ مفتاحاً من علاقة مفاتيحه التي كانت في يده، وفتح باب غرفة المركب ودخل وأنار الأضواء التي سطعت داخل المكان وفوق سطح المركب. «هيا نقوم بعملنا، سوف أعالج الجرح الذي في صدغك، وبعد ذلك سأتصل بشاحنة ما لتقطر السيارتين.»

«وأيضاً بسيارة أجرة لتنقلنا.»

«وبسيارة أجرة.» وافق وهو يهبط السلالم القليلة إلى غرفة داخلية في المركب. وترددت فيكتوريا للحظات طويلة، ثم لحقت به بحذر وانتباه.

كانت الغرفة الداخلية للمركب، أكبر بكثير مما كانت تتصور... حتى انها أكبر مساحة من غرفة الجلوس في بيتها، وقد فرشت بأثاث جميل وثمين أكثر من غرفتها.

«اجلسي حيثما تشائين.» جلست بحذر شديد على حافة طاولة صلبة ومتينة، وأخذت تراقبه كيف خلع عنه سترته وفكّ ربطة عنقه، وفتح خزانة في الحائط كشفت على رفوف مرتبة ومنسقة حيث وضع على رف منها الشاش الطبي، وزجاجة مطهّر وبعض الأدوية المختلفة.

«عظيم. والآن ارفعي رأسك نحو الضوء.»

كانت فيكتوريا شاردة وغير منتبهة للذي يقوله، لأنها كانت تحدق بصورة فوتوغرافية علقت على حائط المركب من ورائه، وكانت الصورة لرجل يقف إلى جانب سمكة كبيرة.

قرأت في أسفل الصورة: رووركي كامبل يحطم الرقم القياسي لمارلين في صيد الأسماك. صدقته الآن. فالرجل الذي في الصورة والرجل الذي يقف أمامها، ينتظر بنفاد صبر لترفع رأسها من أجل اسعافها، كانا شخصاً واحداً لا يمكن أن تفرّق بينهما.

«اطمئني لن أقوم بعملية جراحية، إذا كان هذا ما يقلقك ويشغل بالك.»

وكانت على وشك أن يغمى عليها. وكافحت بما تبقى لديها من شجاعة وقوة كي ترد عليه: «انها... انها زجاجة مطهّر.» وأشارت إلى الزجاجة التي وضعت على الطاولة إلى جانبها: «فرائحتها تذكرني باليوم الذي كنت فيه طفلة صغيرة، وعندما وقعت على ركبتي. و... وكان من الضرورة أن تخيط ببعض القطب.»

«لكن هذا الجرح صغير جداً وليس بحاجة إلى تقطيب.» وعبس وهو يبعد شعرها عن صدغها. «قولي لي عندما تشعرين بأي ألم.»

كان من الممكن أن تتألم، ولكنها لم تفعل، لأن رأسها كان يدور مثل دوامة لتوضيح كل شيء يدور ويحدث. فهل كذب عليها الدكتور رونالد؟

أخذت تستعيد ما جرى بينها وبين الدكتور رونالد من حديث وكانت قد سألته: «هل أنت متأكد من ان طفلتي ستكون بين ايدٍ أمينة؟» فأكد لها انه هو الذي اختار بنفسه الزوجين لحضانة طفلتها.

كما انه قال أيضاً: «انهما يتمتعان بحصانة مادية واسعة.»

التمعت عيناها وهي تنظر إلى وجه السيد كامبل، يمسح الجرح بالقطن، وقد لوى فمه باهتمام بالغ.

«أتشعرين بتحسن؟»

اطرفت فيكتوريا بعينيها، ونظرت إليه فالتقت نظراتهما.

«آ... آسفة. هل... هل كنت تقول شيئاً؟»

«الذي أردت قوله فعلاً، والذي يقلقني أكثر صدغك. هل يؤلمك إذا لمسته؟»

أخذ يمر بيده على الورم في رأسها لكن بلطف، وكانت لمساته لها باردة ولطيفة في الوقت نفسه.

«نعم، يؤلمني قليلاً.»

قطب حاجبيه وكأنه لم يعجبه ذلك. «يجب أن يفحصك الطبيب عندما تعودين إلى سان جوان.»

«لا... لا أعتقد بأن الجرح سيترك أثراً بعد ان يندمل.»

www.elromancia.com

«كما انني أيضاً، لا أعتقد ذلك.» وحوّل نظره عن عينيها ليتفرس في ملامح وجهها. «فمن المؤسف أن يفسد أي شيء ذاك...» وقطب بحاجبيه أكثر من الأول، ثم خطا بعيداً عنها. «حسناً، لقد تمت معالجة الجرح، أما الآن فإلى الاتصالات الهاتفية، ان اعطيتني اسم الشركة التي استأجرت منها سيارتك، فسوف أبلغهم طلبك.»

شعرت بضغط شديد في رأسها، واستدارت بسرعة ومشت نحو السلالم لتصعد إلى سطح المركب. وكان الهواء قد أصبح بارداً نوعاً ما، لدرجة ان الريح التي هبّت من البحر أرسلت قشعريرة باردة على جسدها. أبعدت خصلات شعرها التي طيّرتها ريح البحر عن عينيها، ثم تقدمت واستندت إلى درابزين المركب وأخذت تحدق في الأفق.

كان المكان على ظهر المركب هادئاً ويرسل الاطمئنان في النفوس المتعبة والمرهقة تماماً كنفس فيكتوريا، ولا يعكر صفو ذلك الهدوء سوى صوت ريح البحر الهامس وضجة المراكب التي ترسو عند الميناء، ولكن بالرغم من ان ذلك كان يبعث الهدوء والاطمئنان، إلا أنها لو خيرت لما كانت تبادله بهدوء وأمان غرفتها في الفندق في سان جوان. فقد كانت هناك أمور كثيرة يجب تصنيفها وللتفكير فيها ملياً، وهذا يصعب عليها أن تقوم به هنا، وليس بوجود روركي في الغرفة السفلى من المركب. فبمجرد أن تراه ترتبك وتختلط عليها الأمور، وحتى الآن لا تستطيع أن تتصور انه هو الوالد الذي يرعى طفلتها.

من غير المعقول أن يكون الدكتور رونالد قد خدعها، وهو الذي أرشدها ثم دلّها على الطريق الأمثل والأصح في

أيامها القاتمة والسوداء، كما انه لم يحبط من عزائمها مرة واحدة. ولا حتى في صباح ذلك اليوم المشؤوم بالنسبة إليها، حيث كانت قد فقدت قواها وعزيمتها وغرقت في لجج لا تعرف لها أي مدى.

عادت فيكتوريا بذاكرتها إلى ذلك الصباح عندما دخل عليها الدكتور رونالد في المستشفى ليجدها كتلة جامدة لا حياة فيها، وغارقة في بكاء تتفتت له الأكباد.

قال لها وقتها: «فيكتوريا. ما بالك يا عزيزتي؟ هيا، في استطاعتك دائماً أن تعتمدي علي.»

هزّت حينها فيكتوريا رأسها بألم سحيق وقالت: «لا. لن أستطيع... ولن أتمكن مهما كان أن أضحي بطفلتي...»

«انظري الي، يا عزيزتي.» ورفعت فيكتوريا رأسها إليه ببطء وتثاقل وكانت الدموع الغزيرة قد تركت أثاراً ظاهرة على ملامح وجهها الكئيب، وتابع يقول لها: «من الصعب جداً أن تبقي هذه الطفلة، وأنت التي تعرفين كم والدتك تعاني من المرض الشديد، وبأن ذلك النبأ سيقضي عليها عندما تعلم بأنك أنجبت طفلة بصورة غير شرعية.»

كانت تلك الكلمات قاسية عليها، ولكنها كانت تنطق بالحقيقة وبواقعها الأليم. فوالدتها تعاني الآن من ثالث نوبة قلبية خلال سنتين فقط. وحتى لو كانت والدتها تتمتع بصحة جيدة، فماذا ستقدم إلى طفلتها غير تكرار لحياتها التعيسة؟

أجابته عندها بصوت تخنقه العبارات: «أعرف، لكن... لا أقوى على أن أنجبها وأستغني عنها دون رؤيتها ولو لمرة واحدة على الأقل، من دون أن أعدّ أصابع يديها وأصابع

قدميها، من دون أن أتفرس بملامح وجهها البريء...»

أمسك الدكتور بيديها الاثنتين وهو يقول لها مشجعاً: «ثقي بي، فيكتوريا، أؤكد لك ان طفلتك تتمتع بصحة جيدة.»

نظرت فيكتوريا إليه بعينين زائغتين وقلب يقطر دماً ساخناً لتقول له: «أهي... أهي تشبهني؟»

رق وجه الدكتور قليلاً وقال: «اعتقد بأنها كذلك.»

اغرورقت عينا فيكتوريا بالدموع، وتنحنح الدكتور قبل أن يقول: «ان رؤيتها ستجعل الأمر في غاية القهر والصعوبة بالنسبة اليك، ثقي بي، يا عزيزتي. فالشخصان اللذان سوف يرعانها سيمنحاها كل العطف والمحبة.»

«هل التقيت بهما؟»

أبعد الدكتور عينيه عن عينيها وقال: «طبعاً، وتأكدت بنفسي بأنهما جديران برعاية طفلتك، يا فيكتوريا. فأحياناً يستطيع المرء أن يقوم بأفضل الخيارات الممكنة.»

أخذت فيكتوريا تطلق أنفاساً مختنقة بينما رياح الليل تلاعب صفحات المياه الكاريبية. نعم، هذا ما قاله الدكتور في حينه، وهو الذي كان يعرفها طوال حياتها لذا فهو عرف تماماً لمن يسلم طفلتها إلى والد ووالدة ولا شك بأنهما أحبا طفلتها تماماً كما أحبا بعضهما البعض.

قطع عليها تفكيرها صوت روركي وهو يقول: «أخبار سيئة.»

دارت بسرعة نحو مصدر الصوت وقالت: «ماذا هناك؟»

«ليس هناك سيارات أجرة.»

قطبت فيكتوريا حاجبيها وقالت: «ماذا تعني بكلامك؟»

«هل تكلمت بكلام غير مفهوم، يا آنسة هاميلتون؟ لقد

اتصلت بثلاث شركات، وكان نفس الجواب في كل مرة، ما عدا الاتصال الأخير، حيث قالوا لي انهم سيرسلون واحدة في خلال ساعتين من الوقت.»

«لكنها ما زالت الساعة الثامنة الآن.»

«تماماً.»

انتصبت واقفة وقد لاحظت بأن تصرفه قد تغيّر مرة أخرى. وقد عاد إلى عدائه مثل ما كان عند وقوع الحادث في بداية لقائهما، ولا تعرف سبباً لكل ذلك.

قالت بحدة: «لا أدري لماذا يبدو عليك الغضب الشديد. مع انني أنا التي عليّ أن أهدىء من نفسي وأصبّرها خلال الساعتين المقبلتين، وليس أنت.»

ردّ روركي بحنق: «لو انك لم تتركي سيارتك منذ البداية في وسط الطريق.»

«آه، أرجوك، لا يجب أن نعود إلى تلك المناقشة التي لا تجدي نفعاً.»

أخذ يحملق في وجهها للحظة، ثم تنفس بعمق وهو يقول: «انك على حق في ذلك. ما حدث، قد حدث، والذي نحتاج إليه الآن هو معالجة الأمور الحاضرة، أليس كذلك؟»

«ماذا بخصوص شركة تأجير السيارات؟ ربما قد يوافقون على ارسال سيارة إلى هذا المكان.» ضحك روركي بحدة لقولها هذا، فرفعت رأسها لتنظر إليه ولتقول: «هل قلت شيئاً مضحكاً؟»

«انها بورتو ريكو، آنسة هاميلتون، وليست شيكاغو، ولا أحد يرغب في أن يعمل حتى هذه الساعة من الوقت.»

«بامكانك أن تحاول ذلك.»

«لقد حاولت فعلاً.»

لفهما صمت بارد، تنهدت فيكتوريا وقالت: «حسناً، أعتقد وفي هذه الحال ان أنتظر في سيارتي إلى ان...»

«ذلك غير محتمل في ان يحدث، فشركة سيارات الأجرة قالت انها قد ترسل سيارة، ولكنني لا أعتمد كثيراً على قولهم هذا.»

أخذت تنظر إلى ما وراء الميناء، كانت الظلمة قد حجبت كل رؤية عن الطريق التي أوقفت سيارتها في وسطها.

عادت الرعشة الباردة تسري في عروقها وقالت: «ان الطريق العام ليس بعيداً. اعتقد بأن المسافة بين هذا المكان والطريق ليس بأكثر من ميل واحد.»

«انها مسافة أربعة أميال على الأقل إلى الطريق العام. ولا أعتقد بأنك غبية لهذه الدرجة لتقطعي هذه المسافة بمفردك.»

«اسمع، سيد...» فرفع حاجبيه عندما خاطبته بهذه اللهجة، وبلعت هي بريقها وتابعت تقول: «روركي... وكما قلت ان الأمور الحاضرة هي التي يجب أن نناقشها وان نتداول بها.»

نظر إليها للحظة، ثم طأطأ برأسه وقال: «معك حق.»

«لذا إذا كان لديك أي اقتراحات...»

«اقتراح واحد فقط.» وبدا وكأنه كان يصقل كلماته قبل أن يتفوه بها، «يمكنك أن تأتي معي.»

فغرت فاها بدهشة وقالت: «على متن مركبك؟»

«نعم.»

«تقصد انك قد ترجعني إلى سان جوان؟ آه، لكنني لن أسمح لك بذلك. ان...»

«لا تكوني سخيفة، فذلك قد يستغرق ساعات طويلة.» قال ذلك وابتعد عنها، وأخذ يسحب حبال المرساة: «سأنقلك إلى إسلا دولا بانتيرا. ومن هنا فقط، سوف أقدر أن أقوم باللازم ليتم نقلك واعادتك إلى سان جوان.»

«وما تكون إسلا دو... دو...؟»

«.. دولا بانتيرا... انها مكان إقامتي الدائمة.»

اتسعت عينا فيكتوريا بذهول شديد. وهي التي أمضت يومين في البحث والتفتيش لتحصل على عنوانه...

«إذاً؟ أرجوك اتخذي قراراً ما، يا آنسة هاميلتون، فهل ستذهبين معي أم ستبقين هنا في هذه العزلة المنفردة؟»

«كيف يمكنني أن أرفض دعوة كهذه؟»

«أفهم من ذلك انك توافقين على اقتراحي.»

ابتسمت قائلة: «لقد أصبت باقتراحك.» وجلست على مقعد فوق سطح المركب وأخذت تنظر إلى البحر.

أخذت فيكتوريا تبلع ريقها وهي تشعر بالجوع وبأن أمعاءها تعمل وتطحن نفسها بنفسها، لكنها لم تصب بأي نوع من دوار البحر. نظرت إلى روركي كامبل الذي كان يدير لها ظهره ويقود مركبه عبر اليم، وتساءلت فيما لو كان يعلم بأنها جائعة ولم تنل طعام الغداء بعد وهو ينعم بهذه الرفاهية وذلك المركب الذي لا يملكه سوى الأثرياء مثله.

تنهدت وهي ترجع برأسها إلى الوراء، وتشعر كلياً بارهاق شديد.

كان روركي يقود مركبه ولم يلحظ ما هي عليه من ألم وتعب. لم ينظر إليها ولم يكلمها طوال ذلك الوقت.

كانت تعرف سبب ذلك، فهذا الرجل الذي يحرص على بقاء

نظامه الحياتي بهذا الحماس، والذي كان في أن يعرف مكان إقامته أصعب بكثير من الفوز بجائزة كبيرة، نراه الآن يأخذها معه إلى عتبة بيته.

خفّ هدير محرك المركب لدرجة الهمس، وأخذت فيكتوريا تتلفت حواليها والمركب يقلل من سرعته، وحاولت أن تنهض من على مقعدها، لكن سطح السفينة بدا وكأنه يتأرجح من تحت قدميها. فعادت بسرعة لتجلس على المقعد، وهي تفتح وتغمض عينيها بدهشة وذهول.

سألت مستفهمة: «ما كان ذلك؟»

دار روركي نحوها وقال: «عمَّ تتكلمين؟»

نظرت فيكتوريا إليه: «لماذا كان المركب... كنت فقط... يبدو وكأنني فقدت توازني.»

نظر إليها طويلاً، ثم مد لها يده. «على أية حال، أنت لن تبقي جالسة في مكانك. امسكي بيدي لأساعدك على المجيء إلى هنا.»

فعلت ذلك، لكن بحذر شديد، وتمسكت بيده الممتدة إليها وكأنها في مرحلة نجاة من شيء مميت. وخطت ببطء إلى جانبه ونظرت عبر المياه إلى الجزيرة، ورأت ان الأضواء تشع في المسافة الصغيرة التي تفصلهما عن المركب، واستطاعت نوعاً ما أن تتعرف عليها من أشكالها... مراكب رست عند الميناء، فقد كانت الخطوط المضيئة والمحيطة متضاربة ومتداخلة ببعضها البعض.

سرت قشعريرة في عروقها، وكأنما روركي شعر بما يحدث لها، فنظر إليها قائلاً: «ماذا هناك؟»

«لا شيء أبداً.» قالت بسرعة وهي تنظر إليه وكأنها ترى

اثنين بنفس اسم روركي ينظران إليها، وكررت قولها: «لا شيء، لا شيء.» وكان هناك رجفة وتعثر في صوتها.

قطب روركي حاجبيه وهو يسألها: «أتشعرين بالبرد؟» وقبل أن تتمكن من الاجابة على سؤاله، كانت ذراعيه قد لفتها بقوة. قال لها: «كان عليك أن تقولي لي انك تشعرين بالبرد، فهناك عدد لا بأس به من السترات في أسفل المركب.»

«انني... انني لا أشعر بالبرد، انني فقط...» وعادت أمعاؤها تصدر أصواتاً وكأنها تستنجد لبعض الطعام، وارتعدت وهي تبلع بريقها وتقول: «انني لا أشعر بخير وعافية، هذا كل ما في الأمر.»

أدارها لتواجهه تماماً وقال: «ماذا تقصدين بذلك؟ وهل أصبت بدوار البحر؟»

هزت رأسها نافية، وقالت: «لا، انني متأكدة من ذلك.»

أمال روركي برأسها: «انك شاحبة الوجه.»

«انني... انني أشعر بنوع من الغرابة والغموض.»

«ألا يمكنك أن تحددي ما تشعرين به أكثر من ذلك؟»

«نعم، يمكنني أن أحدد ذلك.» قالت وهي لا تدري فعلاً ما تقول: «انني أرى اثنين من أي شيء وأي كان.»

شدها نحوه بقوة وهتف: «ما الأمر!»

«و...» تعثرت بكلامها وتلاشت ابتسامتها، وقالت متأوهة: «وأشعر بأنني أصبت بالغثيان.»

تردد في المسافات صوت جرس يقرع، وكان عميقاً وثابتاً.

«فيكتوريا.»

www.elromancia.com

«مـمـم.»

«توريا... هيا، استيقظي.»

تأوهت بارهاق شديد وهمست بضعف: «انني تعبة.»

«هل يمكنك أن تفتحي عينيك وأن تكلميني؟ ولو للحظة واحدة، أعدك بأن أدعك تعودين إلى النوم بعد ذلك.»

أخذت فيكتوريا تفتح عينيها ببطء شديد، وكان أول ما رأته ظلمة مخملية، لكن رويداً رويداً بدأت الأشياء تتوضح أمامها، وكان ضوء القمر يرسل نوراً خافتاً من خلال نوافذ الغرفة التي على الطراز الفرنسي.

رأت وجه رجل لا يبعد كثيراً عن وجهها، وهو ينحني فوقها بينما هي تتمدد في سرير عريض ومريح.

«رووركي؟» وحاولت أن تجلس في السرير، وأخذت تستعيد بذاكرتها ما كان من أمرها.

«على مهلك.» وأسندها بلطف وحذر على السرير ووضع الوسادات خلفها.

بلعت فيكتوريا بريقها، وكان ريق جاف ومرّ كمرارة الصبر. «أين... أين أنا؟»

ضحك بلطف ورقة. «كنت أتساءل فيما لو كان الناس يطرحون هذا السؤال عندما يصحون من أمر شبيه بهذا.»

«ماذا تعني بقولك، عندما يصحون من أمر شبيه بهذا؟»

«كدت تقتلين وأنت على المركب، ألا يمكنك أن تتذكري ذلك؟»

«لا. انني، انني...» وأغمضت عينيها من جديد وهي تستعيد ببطء الأحداث الأخيرة، والأضواء التي شاهدتها على الشاطىء، وعندما تهاوى المركب تحت قدميها، ومن ثم الغثيان المفاجىء الذي أصابها...

همست بضعف: «لقد أفسدت وأوسخت مركبك، أليس كذلك؟»

ابتسم لها باطمئنان: «كنت مثال المسافر المتمرن، انما كنت يائسة إلى حد ما، وصرت تتلفظين بأشياء مبهمة لا معنى لها.»

«لكن، كيف وصلت إلى هذا المكان؟ وهل هذا مستشفى؟»

«لا، انه ليس بمستشفى.»

انه فعلاً ليس بمستشفى، فكرت فيكتوريا، مع ان الظلام كان يلف الغرفة بكاملها، لكنها استطاعت أن ترى بأن كل ما هو موجود في الغرفة يدلّ على الثراء والرفاهية. انها من المؤكد في أفخم فندق على سطح هذه الجزيرة.

سألته: «كيف وصلت إلى هذا الفندق؟»

«انه أيضاً، ليس بفندق.» وجاء بقطعة قماش علقت على جانب المغسلة في الحمام وقال: «خذي.» وبسطها فوق الكدمة التي أصابتها على صدغها. «كيف تشعرين الآن؟»

«لكن أليس هذا فندقاً...»

«انه بيتي.»

حدقت به كمن أصابه الخرس. انه بيته؟ وانها الآن مستلقية على سرير في بيت السيد كامبل؟ ان ذلك شيء لا يصدق، لا بد انها تمر بكابوس مزعج وستستفيق منه حتماً، أو ربما انها مداعبة سخيفة. فهي منذ عدة ساعات كانت تلعب دور التحري الخاص وتقوم بالمستحيلات لتجد مكان اقامته، والآن وبكل بساطة أصبحت هنا وتحت سقف بيته.

هذا لم يكن يزعجها، لأن هذا هو ما كانت تسعى إليه في

www.elromancia.com

هذين اليومين الماضيين، انما كانت دهشتها كيف وصلت بها الأمور إلى هذه النهاية.

قطع عليها أفكارها ليسألها: «أترغبين بكوب من الماء؟»

نظرت إليه وهي تبتسم بامتنان. «نعم، أرجوك، فذلك ما أرغبه بشدة.»

«تفضلي.» قال وهو يرفع رأسها عن الوسادة: «لا تشربي دفعة واحدة، فقد قال ماندوزا ان أمعاءك ستكون حساسة لبعض الوقت.»

رفعت فيكتوريا حاجبيها متعجبة وسألت: «ماندوزا؟»

«انه طبيبي الخاص، وقد كشف عليك، والتقط لك بعض الصور بالأشعة. ألا تذكرين هذا الشيء، أيضاً؟»

هزت رأسها نافية وعلى قدر ما تستطيع وقالت: «لا، فأنا لا أذكر شيئاً بعد الذي كنا عليه في المركب، انني...»

لكنها تذكرت بصورة مفاجئة تلك الأمور: يدا الطبيب التي كانتا تفحصانها بلطف وبلهجته الاسبانية الهادئة، وأزيز آلة الأشعة الخافت، وتذكرت أيضاً كيف حملها روركي، ومن ثم وضعها بلطف على هذا السرير المظلل.

ضحك روركي، وكأنه كان يقرأ ما يجول في رأسها. «اطمئني، كونستانسيا هي التي وضعتك في السرير.»

«كونستانسيا؟»

«نعم، فهي مدبرة منزلي.» ونهض عن حافة السرير وقال: «أقترح عليك أن تأخذي قسطاً آخر من الراحة الآن. فإن احتجت إلى أي شيء خلال الليل، فما عليك سوى أن تضغطي على زر الجرس إلى جانب سريرك.»

أغمضت فيكتوريا عينيها بضجر وتعب وقالت: «لقد أزعجتك لغاية الآن ما فيه الكفاية.»

خيم صمت ثقيل، وبعدها ضحك روركي قليلاً وهو يقول: «نعم، لقد فعلت ذلك فعلاً. والآن تصبحين على خير، فيكتوريا هاميلتون، حاولي أن تنامي جيداً.»

تورد خدا فيكتوريا خجلاً، لأنها كانت تقصد ان تعتذر له بأدب، فتحت عينيها ودارت برأسها وهي على وشك أن تقول له ذلك... ولكنها أدارت في الوقت الذي كان يغلق الباب ورائه.

تنهدت وكأنها بذلك تجلب الهدوء والسكينة إلى نفسها. لكنه ليس الرجل الذي جاءت تبحث عنه، فرجل كهذا لا يصلح بتاتاً أن يكون والداً لأطفال، كما انها لا تستطيع أن تتصوره رجلاً متزوجاً، فما من امرأة ترضى بغرور رجل مثله وبحياة السرية والانعزال التي يحياها.

«سينيوريتا؟» تعالى هذا النداء، فالتفتت فيكتوريا بسرعة نحو الباب. ورأت سيدة ممتلئة الجسم، وفي منتصف العمر تبتسم لها بتردد. «لم أرد أن أزعجك، ولكن السنيور ظن انه ربما تريدين بعضاً من عصير الفاكهة.»

بلعت فيكتوريا بريقها وقالت: «لا، شكراً لك على أية حال. فأنا... فأنا لا أريد شيئاً في الوقت الحاضر.»

«كما تريدين، سينيوريتا. إذا احتجت إلى أي شيء، اكبسي على الزر إلى جانبك...»

قاطعتها فيكتوريا لتقول: «كونستانسيا؟ أهذا هو اسمك؟» فهزت السيدة برأسها ايجاباً، وترددت فيكتوريا قليلاً قبل أن تطرح سؤالها: «كنت أتساءل... فيما لو ان السينيور كامبل متزوجاً أم لا؟»

www.elromancia.com

كحلت عينا كونستانسيا للحظة وكأنها لم تكن تتوقع سؤالاً كهذا، لكنها قالت بعد ذلك: «لا، فلا زوجة عنده، تصبحين على خير، سينيوريتا.»

عادت فيكتوريا تتنهد والباب يغلق من وراء كونستانسيا، فروركي غير متزوج إذاً، تماماً كما تصورت، وما من شك ان هذا الرجل ليس هو من قطعت آلاف الأميال لتراه.

تمعّنت بأحداث ذلك اليوم الذي مضى عليها، وشعرت كأنها كانت تمضيه في بيت لا شيء فيه سوى مرايات متشابهة وكلما فكرت انها اقتربت أكثر من بابه الخارجي، وجدت بأنها لا تصطدم سوى بالسراب.

أما بالنسبة لروركي، فهل كان هو من النوع البارد والخالي من الأحاسيس والشعور؟ أو هل ان هناك جانب آخر منه لم تسنح لها الفرصة للتعرف عليه؟

تنهدت هذه المرة بقوة عكرت سكون هذا الليل، ثم غطّت بعد ذلك في نوم عميق ومضطرب.

الفصل الرابع

استيقظت فيكتوريا فجأة في وقت ما، من بعد منتصف الليل، خائفة لا تعرف في أي مكان هي، وما هذه الغرفة الغريبة التي حكمت الاقدار ان تصل إليها وظلام الغرفة حجب عنها معرفة الأشياء مما زاد الأمر تعقيداً وغموضاً بالنسبة إليها.

تقلبت في فراشها بتململ، ما زالت تشعر ببعض الألم في رأسها. انها كانت محظوظة لأنها لم تصب اصابة أكبر مما حصل.

بدت قسمات وجهها متألمة وهي تتذكر الخسارة والضرر وما تكبدته وقاست منه. ولكن الذي كان يريحها نوعاً ما هو ان الذنب ليس ذنبها، انما عاطفة الأمومة هي التي كانت تحثها وتلح عليها كي تجد طفلتها.

اليس هذا ما سعت إليه منذ البداية؟

عادت تتقلب متعبة تحت الغطاء القطني، وتساءلت لما لم تطرح على نفسها هذا السؤال من قبل؟ ربما لأن الجواب كان واضحاً ولا لزوم للتساؤل بشأنه، اما الآن فانه يصعب عليها تبريره خاصة بعد أن امضت ساعات في التقصي والملاحقة لتجد مكان اقامة ل. ر. كامبل، وبعد الحادث غير المتوقع حدوثه بين السيارتين، واصابتها بتلك الكدمة التي ما زالت تعاني منها.

عضت على شفتها السفلى يائسة تفكر كم ارتكبت من

www.elromancia.com

الاخطاء في تلك الأمور ولم تتصرف بحكمة إلى الآن، ومن أين لها ان تعلم أو تدري ما قد يكون بعد ذلك؟

تململت في فراشها بضجر وسأم وتذكرت فجأة أن كل الذي سعت إليه منذ عدة اشهر، كان فقط من واقع انانيتها التي اعمت بصيرتها. وان الهاجس لرؤية طفلتها قد ازال كل ذرة من سلامة عقلها واتزانها الفكري، ولم تفكر الا بنفسها، ولم تهتم بمشاعر الآخرين واحاسيسهم، حتى لو كانت تلك المشاعر من جانب طفلتها الحبيبة.

وطفحت عيناها بدموع ساخنة، لكنها هدأت من نفسها وقالت، ما من شيء يدفعك إلى تلك التعاسة، فطفلتك تعيش حياة هانئة وسعيدة في مكان ما على هذه الجزيرة.

لكن الدموع انهمرت بغزارة من مقلتيها، ودفنت وجهها في الوسادة وأخذت تبكي بكاء مراً يفتت الأكباد وظلت على هذه الحال، حتى جفت الدموع من عينيها. واستسلمت بعد ذلك العذاب المرير إلى نوم مضطرب وقلق.

كانت الغرفة مضاءة بنور الشمس، عندما استفاقت من نومها مرة أخرى. وشعرت برجفة مزعجة في صدغها.

أخذت تتحرك بحذر شديد في سريرها، ورفعت جسدهابيطء لتسند ظهرها إلى الوسادة مفكرة ان ما تحتاجه الآن فعلاً، هو حماماً ينعشها. وتطلعت في زر الجرس إلى جانبها وتذكرت كلام رووركي بأن تستعمله عندما تحتاج إلى أي شيء. لكن الحمام في غرفتها وعلى بعد خطوات منها، فمن المؤكد انها تستطيع ان تمشي إليه بمفردها دون مساعدة احد.

ابعدت عنها الغطاء القطني، وانزلت ساقيها إلى أرض

الغرفة ثم عدت إلى العشرة قبل ان تقف على قدميها.

«ان احوالي تجري على ما يرام لغاية الآن.» قالت بصوت عالٍ بعد ان اصبحت واقفة، لكنها شعرت بعد ذلك بوهن واعياء وانها لن تستطيع الحفاظ على توازنها أكثر من ذلك. فتمسكت بحافة السرير بقوة، وبيديها الاثنتين، وأخذ العرق البارد يتصبب من جبهتها فعادت تنظر إلى زر الجرس بحيرة وتساؤل. هل اذا ضغطته تجيب عليه كونستانسيا؟ ام قد يجيب عليه رووركي؟ وبمجرد ما فكرت به اطمأنت قليلاً، فهو يستطيع مساعدتها، وعصفت في رأسها صوراً مشوشة عن تلك المساعدات.

أخذت تتبين تلك الصور شيئاً فشيئاً في شريط مخيلتها، فرووركي هو الذي انحنى فوق رأسها عندما كانت تئن وتتوجع من الألم، ورووركي هو الذي حافظ على توازنها عندما كانت تغسل وجهها فوق المغسلة، وهو الذي كان يبرد الكدمة في رأسها بقطعة قماش رطبة.

تشجعت بعد ان تذكرت كل ذلك وقالت بصوت مسموع: «هيا، يا فيكتوريا.» وأخذت تحاول قطع تلك المسافة القليلة من السرير إلى الحمام بعزم وقوة.

كانت ترتجف من شدة التعب عندما وصلت اخيراً إلى الحمام، وتمسكت بقوة بحافة المغسلة وكأنها حبل النجاة، وأحنت رأسها إلى أسفل المغسلة وهي لا تشعر بعظام هيكلها وكأنها صنعت من المطاط، ثم وكأنها تذكرت، رفعت رأسها فجأة لتنظر إلى وجهها في المرآة.

تأوهت غير مصدقة ما عكست المرآة على وجهها.

ضحكت قليلاً وهي تتأمل نفسها فقد كانت بشرتها

www.elromancia.com

شاحبة جداً، وشعرها الأسود بدا اشعث وغير مسرّح، والورم في صدغها ظهر ايضاً بحجم بيضة طير ابو الحن ولم يكن ذلك اسوأ ما ألم بها.

أخذت تضحك عالياً وهي تتساءل كيف ستعود إلى سان جوان وهي بهذه الحالة المضحكة.

فتحت حنفية المياه الساخنة ثم بدأت تغسل شعرها وتوجه وجهها إلى مصدر المياه.

«هذا شيء منعش فعلاً.» تنهدت ببهجة وسرور. لكن تلك التنهيدة السعيدة تحولت إلى ارتجاف ورعب شديدين، عندما سمعت صوت رورکي يقول بعنف شديد: «ان ذلك غباء منك لا يصدق، أيتها الحمقاء الصغيرة. ما الذي تظنين انك تفعلينه؟»

قالت باضطراب: «رورکي، أنت... أنت.»

قال: «اخرجي حالاً.»

«رورکي. كيف تتجرأ ان...؟»

«قلت لك اخرجي حالاً. سنتكلم فيما بعد بالذي اجرؤ عليه وبالذي لا اجرؤ عليه.»

وشعرت بالدماء الحارة تصل إلى اذنيها من شدة غضبها، واستدارت بسرعة لتواجهه وهي تفكر كيف ادخل الرعب إلى قلبها.

قالت بلهجة ثابتة وشديدة: «كيف تجرؤ على ذلك؟»

اضطرب وجهها للحظة واحست بعد ذلك بأنها بدأت تفقد توازنها وأن ساقيها أخذتا ترتجفان وترتعشان. تفوه رورکي ببعض اللعنات واسرع ليتلقاها بين ذراعيه قبل ان تسقط وتهوى إلى الأرض. وبعد ان بدأت تستفيق من الدوار الذي أصابها وجدت نفسها تحدق بملامح وجهه القاسية.

«هل أنت معتادة على هذه الحركات، اذ تقومين بكل ما قد يخطر على بالك؟ وهل يصعب عليك ان تفكري قليلاً قبل ان تقدمي على أي عمل؟»

«انزلني من بين ذراعيك من فضلك.»

«لماذا؟ لتعودي مرة أخرى إلى الحمام؟ ربما ايضاً كنت تفكرين أن تقومي بنزهة سيراً على الأقدام، أو ربما لتمارسي رياضة الجري، أو لتشتركي بمباراة في كرة القدم، أو ربما ايضاً...»

«أتسمح بأن تنزلني ارضاً؟»

«بكل سرور.» واستطاعت فيكتوريا ان تسمع دقات قلبه السريع وهو ينزلها.

«اريد ان اعرف فقط ماذا كنت تفعلين؟»

لمعت عينا فيكتوريا وهي تنظر إليه. «وهل من داع لطرح سؤالك هذا؟ اعني، لا بد انه من سبب وجيه لذلك.»

عبس وهو يقول لها: «على أية حال، ليس من عادتي أو من هوايتي ان استرق النظر على أحد.»

«إذاً، ما الذي كنت تحاول ان تفعله؟» ابتسم لها ابتسامة سريعة وباردة وهو يضعها برفق على السرير. «انه حمامي الخاص، ولا اريد ان ارى احداً غيري يستعمله.»

«لا تكن سخيفاً.» قالت له وهو يخطو عائداً إلى الحمام وتابعت تقول: «لقد كنت في احسن حال حتى اتيت حضرتك تخيفني حتى الموت.»

خرج رورکي من الحمام وهو يحمل بيده منشفة وقال: «ألم أقل لك ان تضغطي على زر الجرس عندما تكونين بحاجة إلى أية مساعدة؟»

www.elromancia.com

«لم اكن بحاجة إلى مساعدة. كنت فقط...» وضعف صوتها عندما وضع المنشفة على شعرها المبلل وامسكت بطرفيها لتلفها فوق رأسها. «كنت أغسل شعري فقط، ما بالك تجعل الأمر يبدو وكأنني...»

«لقد كان عملاً غبياً قمت به.»

شعرت فيكتوريا بخديها تشتعلان غضباً. «اسمع، اعرف جيداً بأنك حملتني إلى بيتك...»

قاطعها ليقول: «ذلك لأنه لم يكن هناك من خيار افضل.»

«الا يمكنك ان تقدم السرور والبهجة ولو لمرة واحدة؟»

«انني وببساطة، صادق دائماً في اقوالي وافعالي، وأعلم ان ذلك يسبب احياناً بعض الاحراج للآخرين.» وتوجه إلى النافذة التي صممت على الطراز الفرنسي، وفتحها، فدخل هواء البحر حاراً. «صدقيني، فلو كان هناك شيء آخر يمكن ان اقوم به، لكنت قمت به دون تردد.»

رفعت رأسها وقالت: «ان كنت فعلاً تظن ذلك، حسناً، لِمَ لم تنقلني إلى أي مستشفى؟»

«لن تجدي مستشفى واحدة على سطح هذه الجزيرة.»

«حسناً، كان بإمكانك وفي هذه الحال، ان تأخذني إلى أي فندق، أو...»

قاطعها روركي: «كنت فعلت ذلك وبكل سرور، فقط لو كان هناك شيء من الذي ذكرت.»

قطبت فيكتوريا حاجبيها وقال: «انني لا أفهم شيئاً، أي نوع من الجزيرة هذه؟»

«ان هذه الجزيرة من الاملاك الخاصة.»

«حسناً، الا يقوم اصحاب المنازل الآخرين...» وتوقفت

عن كلامها وهي تشعر بالارتباك عندما رأته يضحك بسخرية وقالت: «ما المضحك في هذا الأمر؟ ويحك، يا روركي، قل ما الذي يضحكك؟»

«ان جزيرة لا بانتيرا هي خاصتي، وخاصتي وحدي.»

حدقت فيه بذهول تام: «لك أنت؟ اتعني، بانها ملكك؟»

«تماماً.» وعاد يضحك للدهشة التي ظهرت على وجهها: «كلها، من الميناء حيث رسي مركبي وإلى التلال المحيطة بها نزولاً حتى البحر من الجهة الثانية.»

«فهمت.» وتنهدت بعمق. «حسناً، إذاً.» وكانت تتفوه بكلامها بنوع من الحسد والغيرة: «يجب ان اكون ممتنة وشاكرة لك لأنك نقلتني إلى جزيرتك ليلة البارحة، ولكن...»

«لقد جئت منذ يومين إلى هذا المكان، يا فيكتوريا.»

فغرت فاها بدهشة وقالت: «ماذا تقول؟»

تراجع روركي قليلاً إلى الوراء وطوى ذراعيه على صدره قائلاً: «الا تتذكرين ذلك ايضاً؟»

قالت بصوت ضعيف: «لا اذكر ابداً، ولكن اهذا يعني بأنني... بأنني كنت نائمة منذ...»

«كان نوم متقطعاً ومتقلباً، غير مستقر لمدة اثنين وثلاثين ساعة من الوقت، هذا ما يمكن تسميته.»

سألت بحذر وارتباك: «ما الذي يجري ويصيبني؟»

تنهد وقال: «لقد دار بيننا هذا الحديث قبل الآن.»

«لا أذكر شيئاً منه، كما لا أذكر انني تكلمت معك، عدا الحديث الذي جرى بيننا في الليلة الأولى.» وأخذ قلبها يخفق بشدة: «هل... هل قلت شيئاً... أي شيء.»

«تعنين أشياء طائشة وحمقاء؟»

www.elromancia.com

«لا.» قالتها بسرعة، وقد انبأتها غريزتها حالاً أنها لما كانت بقيت في هذا المكان لو كانت ثرثرت بخصوص ملاحقتها للسيد ل. ر. كامبل، مع انها انتهت اخيراً من خطتها لتلتقي برجل آخر، وتابعت تقول: «لا، انما عندما لا يعي المرء ما قاله أو ما فعله لمدة يومين فان هذا يسبب الضيق.»

«حسناً، وسوف تضيعين اياماً أخرى، ان أسرعت في مغادرة السرير، وأرجو ان لا تنسي انك اصبت بكدمة كبيرة في صدغك.»

«اذكر بأنك قلت لي هذا، ولكن الذي فهمته منك أنها ليست سوى كدمة بسيطة.»

«انها فعلاً كذلك، ولا تقلقي فسوف تتحسنين يوماً بعد يوم، وذلك إذا ارتحت لمدة أسبوع أو أكثر بقليل.»

«أسبوع؟ لا، ذلك سيكون مستحيلاً عليّ.»

قال مكرهاً: «نعم، ومعك حق. ان ذلك لمستحيل، ولكن هذه اوامر الطبيب ماندوزا، وانني ملتزم بأوامره.»

تورد خدا فيكتوريا من الغضب وقالت: «انك لست ملتزم بشيء من الأشياء، يا سيد كامبل.» وسحبت المنشفة عن رأسها وغرست اصابعها في خصلات شعرها الداكن وهي تدفعه بعيداً عن وجهها. «لو انك تتكرم وتحضر لي مركباً ينقلني إلى سان جوان بعد ان انتهي من ارتداء ملابسي...»

ضحك روركي ببرودة شديدة وقال: «آه، نعم، وتظنين بأنني سأقوم بذلك في الحال، اليس كذلك؟ ثم ادعك تستقلين سيارة تتخبط بك لتزيد من امرك سوءاً، وإلى رحلة طويلة على متن مركب حيث تصلين إلى الشاطىء وأنت مصابة

بأعراض جديدة من دوران البحر تجعلك تثرثرين وترددين الفاظاً غريبة لا معنى لها.»

كانت تحدق به طوال الوقت وهي غير مصدقة بالذي يتفوه به وقالت: «من غير الممكن ان اقوم...»

قاطعها قائلاً: «لا، من غير الممكن ان تقومي بذلك، لأنني لن اعطيك أية فرصة.» ثم مشى إلى طرف الغرفة وسحب ثوباً من على كرسي، ورمى بها فوق السرير وقال: «والآن، ارتدي ثيابك، لأن كونستانسيا قد هيأت لك الطعام.»

«ارتدي ملابسي عندما اكون مستعدة لذلك، كما انني لا اريد ان افطر. ولا اريد ايضاً أية خدمة منك.»

صرخت عالياً عندما تقدم ومال نحوها ليضغط بيديه القاسيتين على كتفيها مما آلمها، ولكن ليستا كقساوة وجهه وهو ينظر إليها.

قال محذراً: «لا تجادليني.»

تورد خداها خجلاً وقالت: «إذاً، اخرج من الغرفة كي اتمكن من ارتداء ثيابي.»

نظر روركي إليها مطولاً، ثم ضحك وقام بما طلبت منه، وهو يقول: «كما تشائين.»

كانت يدا فيكتوريا ترتعشان وهي تفك الحزام، ثم بدلت ملابسها بأسرع ما تمكنها عافيتها من ذلك، وفكرت بأن الذي ترغبه في الوقت الحاضر هو ان تخرج من هذه الجزيرة. وهذا ما قررته فعلاً، وبأسرع وقت...

ساعدها في النزول على السلالم، والوصول إلى غرفة الطعام، ثم اجلسها برفق على كرسي. ودخلت عليهما كونستانسيا بوجه مشرق، وأخذت ترحب بها بابتسامة

www.elromancia.com

لطيفة: «سررت جداً لرؤيتك صاحية وقد تحسنت بعض الشيء، ما الذي تفضلينه لطعام الفطور؟»

«في الحقيقة، أنا لا أشعر بالجوع، يا كونستانسيا.»

قال روركي: «قدمي لها قليلاً من الخبز المحمص. وبيضاً مسلوقاً، وبعض الفاكهة.»

«لكنني لا أريد.»

«طالما أنا مسؤول عنك، عليك ان تنفذي ما اراه مناسباً لك.»

«نعم، وعلى أية حال، سننتهي من هذا الأمر بأسرع وقت ممكن.»

سكب روركي فنجانين من القهوة من الابريق الذي وضع إلى جانب طاولة المائدة. «وإذا اتبعت اوامر الطبيب، فأنا على ثقة انك لن تبقي أكثر من اسبوع في هذا المكان.»

ابتسمت بحقد، وقالت: «لا ارغب في ان أفرض نفسي عليك كل هذه المدة.»

«لقد سبق وفرضت نفسك علي. وبضعة أيام أخرى لن تغير شيئاً.»

«حسناً، لكن هناك أشياء أخرى يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار.»

«مثل ماذا؟»

«أطير إلى بيتي يوم الاثنين المقبل.»

«هذا الاثنين؟ إذاً، لماذا كنت ومنذ يومين ماضيين في شركة كامبل، تطلبين عملاً.»

أخذت تفكر بسرعة لتجد جواباً لهذا القول الغبي الذي جعل كامبل يطرح سؤاله هذا: «لأنني... لأنني كنت اظن بأنني سأبقى في بورتو ريكو لبضعة أشهر أخرى.»

مال روركي بجسده إلى الوراء واسنده إلى خزانة في الغرفة ورفع فنجان القهوة إلى شفتيه، ثم قال: «هكذا، وبهذه السهولة؟»

بدت غير مبالية وقالت بهدوء: «نعم، بهذه السهولة.»

«ماذا بشأن عائلتك؟ وعملك؟ من المؤكد ان هناك من ينتظر عودتك في بيتك.»

«هناك برني فقط ينتظرني وبامكانه ان يحل مكاني بسهولة مطلقة.»

قال روركي: «هذا تقييم ممتع لمدى اهميتك.» ووضع فنجان القهوة جانباً ثم طوى ذراعيه على صدره.

رمقته فيكتوريا بنظرة باردة وخالية من أي تعبير ثم قالت: «انني آسفة لتخييب املك، عندما انبأك بأن برني الذي اتكلم عنه، يكون مديري وبأنني اعمل نادلة في مطعم، ولن يصعب عليهم الأمر كي يجد بديلة عني.»

«هذا جيد. ففي هذه الحال، بقاؤك هنا لن يعيق أي انسان.»

«عداك انت.»

«ما من خيار آخر، في الحقيقة، اليس كذلك؟»

«نعم، هناك خيار آخر.» ورفعت رأسها متابعة قولها: «فليمرر لي وكيل اعمالك بعض البيانات، وسأوقع عليها.»

رفع حاجبيه متعجباً ثم قال: «عن ماذا تتكلمين؟»

«انني اتكلم عن نتائج الأمور التي اقلقتك واغضبتك، يا سيد كامبل. وسيكون من دواعي سروري ان اوقع على بيانات تقول بأن الحادث برمته كان قد نتج عن خطأ مني.»

«تعنين بيان قانوني؟»

www.elromancia.com

طأطأت برأسها وقالت: «نعم، ومتى اقوم بذلك.»

قاطعها قائلاً: «لا أعلم، أنت اما ساذجة وبسيطة أو حاذقة وبارعة، يا فيكتوريا. فذلك البيان القانوني الذي تتكلمين عنه قد لا يستحق الأوراق التي ستكتب عليه. ذلك لأن أقل المحامين كفاءة قد يفهم ما فيه ويبطل مفعوله ويدعي بأنك كنت غير واعية وما زلت تعانين من عوارض الكدمة التي اصابتك عندما وقعت على البيان، أو ربما قد يدعي ايضاً بأنني اكرهتك على ذلك بالتهديد والوعيد.»

«من تظن نفسك، يا روركي كامبل؟ قد تكون هذه الجزيرة ملكك، ولكن هذا لا يجعلك امبراطوراً وحاكماً عليها.»

لوى فمه بابتسامة باردة وقال: «لنفترض بأنني فعلاً كما قلت، فما في ذلك؟»

قالت بهدوء: «الذي أعرفه تماماً هو أن بورتوريكو تخضع لسلطة الولايات المتحدة، وانها...»

كان قد اصبح قريباً منها قبل أن تأتي على نهاية قولها وامسك بكتفيها بقوة لينهضها عن كرسيها.

«لا قوانين في جزيرة لا بانتيرا عدا قوانيني أنا. اتفهمين ذلك؟»

تملكها خوف شديد من تهديده هذا، لأنه لم يكن بالرجل الذي يمكن مقاومته، وقد فهمت ذلك منذ ان تعرفت عليه. وعادت تتساءل، لماذا تسمح له بأن يقوم بكل ذلك معها؟ فلها ارادتها وحريتها الشخصية وهي ليست ملكاً من املاكه.

اسودت عيناه بسواد مخيف عندما نطقت بآخر ما كانت تفكر به بصوت عالٍ وهو انها ليست ملكاً من املاكه.

«كل شيء في هذه الجزيرة هو ملك خاص بي.»

«لكنني لست ملكاً لك. لست...»

كرر قوله: «كل شيء. ولن تستطيعين مقاومتي. هل تفهمين؟»

«آه، نعم، وافهم ايضاً بأنك تفوقني قوة.»

ضحك ببرودة وقال: «هذا صحيح، وكما انني مؤذٍ وخطير جداً. لا تجعلي الأسبوع المقبل اصعب تحملاً مما يجب ان يكون، يا فيكتوريا، وذلك لمصلحتنا نحن الاثنين.»

امتلأت عيناها بالدموع وقالت: «انني اكرهك.»

ضحك مرة أخرى، وقال: «اصحيح ما تقولينه؟»

شعرت بالغثيان، فما كان يقوم به روركي كان عن تعمد بارد لا احساس فيه، كان اشبه بالسيطرة عليها، لا بدافع العاطفة والحب. وقد اظهر لها بوضوح، بأن هذه المملكة أي جزيرته، وما عليها يخصه هو.

«أيها الوقح.» وأخذت تضربه بكل ما عندها من قوة بقبضات متتالية. وسقطت ضربة على فمه، بقوة كافية كي تميل برأسها إلى الوراء، وسال الدم من شفتيه.

احكم يديه حول خاصريتها، بقوة هائلة، لدرجة انها شعرت بضغط اصابعه على عظام بنيتها، لكنها حافظت على توازنها ورفعت رأسها عالياً وانتظرت أي نوع من الانتقام ممكن أن يقوم به. مد يده ببطء إلى جيب سرواله، وتناول منه محرمة ناصعة البياض، وأخذ يمسح به الدم الذي سال على شفتيه، ثم نظر إلى بقع الدم القرمزية التي بانت واضحة على المحرمة البيضاء.

«هل دائماً يؤدي بك انفعالك الشديد إلى هذا الحد، يا فيكتوريا؟»

www.elromancia.com

ارتفع فجأة صوت في ارجاء البيت، آتٍ من السلالم التي تؤدي إلى غرفة الطعام. وكان صوت لطيف وعذب، لكنه كاف ليخترق قلب فيكتوريا.

كان الصوت يعود إلى طفلة صغيرة.

شحب وجه فيكتوريا وقالت: «من تكون صاحبة الصوت؟»

اسرع روركي ووضع المحرمة في جيب سرواله وصاح: «كونستانسيا؟ كونستانسيا!»

اسرعت مدبرة المنزل بالدخول إلى غرفة الطعام وهي تحمل صينية كبيرة بين يديها. «انني هنا، يا سيدي.»

«ابقي مع الآنسة هاميلتون.» ونظر إلى فيكتوريا ببرودة شديدة. «وتأكدي من انها ستأكل شيئاً من طعامها.»

طأطأت مدبرة المنزل برأسها مطيعة. «آه، نعم، عليها ان تقوم بذلك، اذا كانت تريد ان تتحسن صحتها.»

كانا يتكلمان بأمرها وكأنها غير موجودة بينهما، هذا ما لمسته فيكتوريا، لكنها لم تكترث ابداً لذلك. وكانت كل احاسيسها مشدودة للصوت الضعيف والبريء الذي سمعته، ونظرت إلى كونستانسيا بعد ان غادر روركي الغرفة.

«كان ذلك الصوت... صوت طفلة، اليس كذلك؟»

«نعم.»

قالت بغباء: «في هذا المكان؟ في هذا البيت؟»

قالت كونستانسيا: «انها فتاة رائعة جداً، الم يذكرها السنيور على مسمعك؟»

«لا، لا انه لم يذكر لي أي شيء من ذلك. اتكون... اتكون طفلته؟ اعني ابنة السنيور كامبل؟»

رفعت حاجبيها متعجبة وقالت: «طبعاً، انها ابنته.»

«لكن... كنت قد ذكرت لي بأنه غير متزوج.»

«قلت لك، بأنه ليس لديه زوجة، سينيوريتا.»

«لا افهم شيئاً مما تقولينه.»

تنهدت مدبرة المنزل بطريقة دراماتيكية وقالت: «ان السينيور روركي وزوجته مطلقان الآن.»

«ما الذي حدث، يا كونستانسيا؟»

حولت مدبرة المنزل نظرها إلى الباب وكأنها تخشى ان يدخل عليهما روركي: «لا يحق لي ان اتكلم بصدد ذلك.» ثم جلست على كرسي إلى جانب فيكتوريا وهي تقول: «كيف يستمر مثل هذا الزواج عندما يكون الرجل بارداً تماماً مثل الجليد؟ بلا شعور عنده أو أية احاسيس، ودون حب متبادل في قلبه.»

حدقت في وجهها متعجبة: «ماذا تقصدين في ذلك؟»

هزت كونستانسيا بكتفيها وقالت: «اعني ما اقوله بالحرف الواحد، سينيوريتا. انه لا يحفظ حباً لأي كان ولا حتى لتلك الطفلة البريئة. كما انني لم ار يوماً مثل... كيف تقولين ذلك؟ لم ار في حياتي شخصاً يخلو من العاطفة مثل هذا الشخص... كم يحزنني قلبي لأجل تلك الصغيرة.»

«كونستانسيا.» وجاء صوت روركي بارداً ومخيفاً. شحب لون وجه مدبرة المنزل، وارجعت كرسيها إلى الوراء ووقفت بسرعة. «نعم، سينيور.»

«من المؤكد بأن لديك اشغالاً مهمة لتقومي بها بدلاً من الثرثرة التي لا نفع منها.»

«آسفة، كنت فقط...»

www.elromancia.com

«اعرف جيداً ماذا تقصدين بكلمة فقط. كنت فقط تتدخلين في امور لا تعنيك، كما تفعلين دائماً.»

قالت فيكتوريا بسرعة: «انها غلطتي فقد كنت اسألها...»

«إذا كان لديك أية اسئلة، فأرجو ان تطرحيها عليّ أنا شخصياً. لا تطرحيها على الخدم عندي، هل هذا واضح لك؟» واستدار متوجهاً نحو الباب، ولكنه توقف في منتصف الطريق والتفت إليها: «سيأتي طبيبي الخاص ماندوزا في وقت متأخر من بعد ظهر هذا اليوم، وإلى ان يحين ذلك الوقت، اقترح عليك بأن تنالي قسطاً من الراحة.»

«حسناً.»

رفع حاجبيه متعجباً وقال: «هل من اعتراض؟»

«ولا اعتراض واحد، اقصد... ليس لي خيار سوى ذلك.»

«انه القول الأول والذكي الذي تفوهت به منذ ان استيقظت هذا الصباح. ان كل الخدم تحت تصرفك ورهن اشارتك... لكنني افهمتهم جميعاً بأنك لن تغادري الجزيرة، اهذا مفهوم؟»

طأطأت فيكتوريا برأسها اذعاناً له، واستراحت على كرسيها عندما كان يخرج من الغرفة.

أخذت الهواجس تتصارع بتفكيرها، فيما لو كان الصوت الذي سمعته هو صوت طفلتها. وهل هي يا ترى فعلاً في هذا المكان، في البيت البارد جداً، والذي خلا من حنان وعاطفة الأمومة، ومع والدكان وعلى حد قول مدبرة منزله، رجل من دون قلب، عندها ستقوم بما هو لازم ومفروض، فسوف تضم طفلتها إلى صدرها وتغادر المكان، وعند ذلك، ما من رجل على سطح الأرض يستطيع ان يوقفها.

الفصل الخامس

«بونوس دياس، صباح الخير، سنيوريتا هاميلتون.» قالت كونستانسيا مبتسمة لفيكتوريا وهي تضع طبقاً كبيراً يحوي الفاكهة المقطعة من البرتقال، والمانغا، والموز على الطاولة في الحديقة: «تبدين مرتاحة ومنتعشة هذا الصباح، هل تشعرين بأنك أفضل حالاً من ذي قبل؟»

ابتسمت فيكتوريا لها ايضاً وقالت: «شكراً لك، كونستانسيا، أنا اشعر فعلاً بتحسن اكثر مما كنت عليه.»

«هذا شيء عظيم.» وسكبت مدبرة المنزل فنجاناً من القهوة ووضعته أمام فيكتوريا: «سيسر السينيور عندما يعود ويرى انك استعدت عافيتك ونشاطك.»

«اتظنين أنه سيعود اليوم؟»

«آه، نعم، انني أكيدة من ذلك، وعلى ما اعتقده أنه سيعود مع حلول الظلام.» وأخذت تمسح الطاولة بقطعة قماش كانت بيدها، مع أن الطاولة كانت نظيفة وكأنه أمر اعتادت أن تفعله وبشكل روتيني: «أترغبين بشيء آخر؟»

«لا، شكراً لك، سأتناول بعضاً من فطوري، ثم سأذهب في نزهة سيراً على طول الشاطىء.»

«أرجوك، سينيوريتا، اياك أن تسبحي، فهناك تيار قوي، وأنت ما زلت ضعيفة...»

«لا تقلقي، لن اسبح.»

تابعت كونستانسيا اسداء النصائح لها: «أما الاسترخاء

على الرمال سيجديك نفعاً كبيراً، وستمنحك الشمس الكلسيوم لأطرافك المرضوضة، وهواء البحر سيورد خديك وسيعيد الانتعاش إلى نفسك. هل ترغبين في أن يرافقك أحد ما؟»

«لا، سأكون في أحسن حال.» رفضت فيكتوريا بسرعة، لأنها لا تريد أن تصحب أحداً معها في هذه النزهة.

ابتسمت السيدة وقالت: «نعم، وأنا أراك ايضاً قد تحسنت. سنراك إذاً، عند الغداء. سوف احضر طبقاً من سلطة الخضار مع طبق من عجة البيض، وربما بعض الحلوى.»

ضحكت فيكتوريا قائلة: «اما السلطة او عجة البيض، لا أقوى على الاثنين معاً، كما ارفض الحلوى بشكل قاطع، واعتقد بأن ملابسي ستضيق علي بعد يومين فقط.»

وقفت كونستانسيا عند الباب وقالت: «ماذا تقولين؟ انك نحيفة جداً، وقليل من الوزن الاضافي لن يؤذيك بل سيزيدك رونقاً وجمالاً.» وعندما انتهت من كلامها غادرت المكان.

تنهدت فكتوريا بارتياح بعد أن تركتها مدبرة المنزل، فهي تثرثر بنصائحها مثل نقيق الضفادع الذي لا يتوقف. وذلك ليس من اهتمامها بها وقلقها على صحتها، بل انها اوامر روركي المشددة التي اصدرها قبل أن يسافر في الطائرة المروحية ليلة أول من أمس.

لكن عندما يعود روركي مساء هذا اليوم، ستكون الأمور مختلفة وستضع حداً لكل ذلك.

كانت تظن دائماً، بأن روركي رجل متغطرس، ومتسلط، وقد ثبتت عليه هذه التهم في طريقة معاملته لها. كما أنه كان

لديها منذ يومين متسع من الوقت والحرية لتفكر ولتحلل العوائق التي تعرضت لها من البداية.

كانت متلبدة الذهن لدرجة الغباء وفي لحظة اللاوعي جزمت أن صوت الطفلة التي سمعت صراخها، كانت ابنتها.

ابتسمت فيكتوريا مستنكرة تصرفاتها، فالطفلة لم تكن ابنتها كما اعتقدت. ولم يكن من مشقة عليها لتكتشف ذلك ايضاً. وتذكرت كيف دخلت مرة على كونستانسيا في المطبخ وسألتها مباشرة إذا كانت ابنة روركي ليست طفلته الحقيقية.

نظرت إليها حينها كونستانسيا مستغربة ومندهشة وكأنها اصابتها صاعقة.

«ماذا؟ لا، سنيوريتا، انها تنتمي أصلاً وفصلاً لعائلة كامبل.» وظهر في عينيها حزن عميق وهي تتابع قائلة: «مسكينة تلك الصغيرة، انه من المؤسف والمؤلم أن يجيء أي طفل الى هذا العالم وهو غير مرغوب فيه.»

استوت فيكتوريا في كرسيها وهي تستعيد بفكرها ما دار من حديث مع كونستانسيا وتنهدت بألم وحرقة لطفلة روركي التي تركتها والدتها، تعيش مع والد دون قلب يحن عليها ويحبها، وتذكرت بأن الطفلة قد اختفت ولم تعد تسمع لها صوتاً او ترى لها أثراً منذ ذلك.

كان من المؤسف والمحزن معاً أن لا تخرج الطفلة من غرفة الحضانة والتي خصصوا لها مربية بلباس معين لتعتني بها وتهتم بأمورها. كانت فيكتوريا قد رأت تلك المربية عدة مرات، وحاولت أن تكلمها مرة، ولكن المربية لم تكن تتكلم سوى اللغة الاسبانية.

لكن الشيء الغامض والمبهم بالنسبة لفيكتوريا، ما السبب الذي اجبر الوالدة على هجر طفلتها. مع ذلك، قد يوجد تفسير ممكن لذلك، قد تكون الطفلة شرطاً اساسياً أن يحتفظ بها رووركي ليتم الطلاق بينه وبين زوجته، وانه شيء مؤسف ومحزن.

تنهدت فيكتوريا مرة أخرى. وقالت في نفسها انه مهما يجري من امور في هذا المكان، فلا تعنيها على الاطلاق. عليها أن تركز الآن على الاهتمام بصحتها وعافيتها كي تستطيع الخروج من هذا المكان بعد خمسة أيام كما وعدها رووركي، وأن لا تفقد اعصابها وهي تنتظر ليمر الوقت بسرعة.

حلق سرب من طيور الببغاء فجأة امامها، وكانت اجنحتها تسطع وتلمع تحت نور اشعة الشمس على ريشها المتعدد الالوان. والتي جلبت إلى قلبها من قبل البهجة والسعادة، لكنها لم تجلب إلى قلبها هذه المرة سوى الألم والتعاسة. ففي ذلك الوقت شرح لها جون الجنائني بفخر عن مصدر ذلك السرب من طيور الببغاء.

«لقد جاء بها السينيور كامبل إلى جزيرة لا بانتيرا.»

«إذاً، انها ليست في الأساس من طيور هذه الجزيرة؟ لكن ما الذي يبقيها هنا في هذه الحال؟ اقصد، ان لم تكن فعلاً تنتمي إلى هذا المكان، فلماذا لا تطير بعيداً اذاً؟»

نظر عندها اليها وكأنه ينظر إلى غبية ساذجة لا معرفة لها في هذه الأمور: «اعجبتك الجزيرة، اليس كذلك؟»

«نعم، لكن...»

«للطيور كل ما تحتاجه وترغبه، كما انها في امان هنا،

وتلقى رعاية واهتمام بالغين. فلماذا تطير هاربة؟»

«لكن ما رأيك لو أنها هربت وغادرت هذا المكان بالرغم مما تلقى من اهتمام ورعاية؟»

«أعرف جيداً أنها لن تحاول الابتعاد عن هذا المكان. فجزيرة لا بانتيرا تبعد كثيراً عن الجزيرة الاساسية، واجنحتها الصغيرة لا تقوى على تلك المسافة الطويلة.»

قالت بصوت حاد: «تعني أنه لا خيار لها، وهذه الطيور سجينة لهذا المكان.»

ضحك الجنائني العجوز وسرب الببغاء يطير عالياً فوق رأسيهما، وهي تتقارب وتتوازن مع بعضها.

«انظري، سينيوريتا، اتبدو لك أنها سجينة فعلاً؟»

قالت لا في نفسها، وأخذت تراقبها كيف تغط واحدة تلو الأخرى على اغصان الشجر. لكنها اسرت بنفس الطريقة التي اسرت هي بها.

وضعت فنجان القهوة على الطاولة ومسحت شفتيها بمحرمة ورقية ثم وقفت.

أخذت تهبط السلالم الحجرية القليلة للحديقة وهي تفكر بألم وبمرارة، بأن ما تركه السينيور من تعليمات، كان للرعاية والاهتمام بكل ما هو حيواني في جزيرة لا بانتيرا. أما من ناحيتها، فستكون حرة وطليقة من هذا السجن بعد خمسة أيام.

رفعت فيكتوريا رأسها لأشعة الشمس واقفلت عينيها وأخذت تتنشق هواء البحر الاستوائي.

«صباح الخير، سينيوريتا، انه نهار بديع، اليس كذلك؟»

أجفلت فيكتوريا وفتحت عينيها، لترى الخادمة، لوتشيا

او ربما آنا لم تعد تتذكر. فهناك العديد من الخدم في هذا المنزل ويصعب على المرء أن يحفظ اسماءهم أو التعرف اليهم بسرعة.

اجابت فيكتوريا بأدب: «نعم. انه فعلاً نهار بديع.»

«أترغبين شيئاً، يا سينيوريتا؟ شراباً بارداً، ربما، أو...»

«شكراً لك، فأنا لا أرغب بأي شيء.»

ابتسمت الخادمة وقالت: «ان رغبت بأي شيء...»

«ان رغبت بأي شيء، سوف اطلبه منك.»

«حسناً، عن إذنك، سينيوريتا.»

كانت خلال اليومين الماضيين محاطة بكل عناية واهتمام والكل في خدمتها لأي امر تريده وتحتاجه، احدهم يرتب سريرها في الصباح، ثم يهيئه لها في المساء، وعلقت ملابسها كلها في الخزانة. وكانت قد استعادتها من الفندق في سان جوان في ذلك الصباح الذي سافر فيه رووركي، وقد اوضح لها وافهمها أنه عليها أن تقوم بما تراه مناسباً لها مع طيار المروحية الذي ارسله اليها.

قال لها الطيار بأدب: «اذا اعطيتني اسم الفندق الذي كنت تقيمين فيه، سينيوريتا، فسوف اذهب اليه حالاً وبسرعة، واحضر لك حقائبك.»

قالت من دون أن يرف لها رمش عين: «دعني اولاً اتصل بفندق ماريبوزا واطلب منهم أن يضعوا حقائبي في مكتب الاستقبال. آه، تذكرت امراً آخر، سأطلب منهم أن يضعوا عليها ورقة كتب عليها: إلى جزيرة لا بانتيرا، كي لا تضيع حقائبي مع الحقائب الأخرى.»

وصلت حقائبها بعد مضي بضع ساعات إلى الجزيرة. وأخذت الخادمة تكوي لها ملابسها ومن ثم تعلقها في خزانة الثياب.

كانت تقول لنفسها دائماً، يجب أن تتمتع وتستفيد من كل هذه الرفاهية التي فرضتها عليها الظروف، كما انها لم تحظ مرة في حياتها بمثل هذا الدلال في المعاملة... فعندما كانت صغيرة السن، كانت والدتها تعود متعبة ومرهقة من عملها في آخر النهار وتسرع لتقوم بأعمال منزلية لا يمكن أن تغفل عنها. وفي السنوات القليلة الماضية، كانت منهمكة ما بين الاعتناء بوالدتها المريضة، وبين العمل كنادلة. والرفاهية الوحيدة التي كانت تنعم بها، عندما كانت تأخذ حماماً واحداً دافئاً مرة في الاسبوع، بدل أن تأخذ حماماً سريعاً كل يوم.

لكن هذه الرفاهية التي تنعم بها، لم تتمتع بها كثيراً وذلك لسبب واحد، انها بدأت تشعر بالضجر لعدم القيام بأي شيء، بينما كل واحد من حولها منهمك بلذة في عمله. وتنهدت فيكتوريا وهي تجلس على مقعد مرمري في الحديقة ولا تدري بأي شيء تلهي به نفسها وتشغلها.

نهضت ببطء وضجر عن المقعد المرمري ومشت في طول الممر الملتوي في الحديقة وخارجاً إلى الطريق المنحدر الذي يؤدي إلى الشاطىء والذي يحد القسم الجنوبي من الجزيرة.

تلألأت أشعة الشمس امامها فوق الشاطىء الرملي الأبيض، فنزعت فيكتوريا حذاءها من قدميها، وأسرعت تسبح في مياه البحر الدافىء، وكانت تشعر بالحرارة القوية من تعرضها

لأشعة الشمس الحارة. كانت المياه شافية وقد شعرت بانها تزيل التوتر والارهاق عنها، وعادت تتذكر تحذير كونستانسيا والطبيب لها بعدم السباحة كي لا ترهق نفسها.

لكن السباحة ليست بعمل مرهق ومتعب، وخاصة اذا القت بظهرها على الماء وجعلت الأمواج الصغيرة تتمايل بها بهدوء، وشعرت بارتياح من عدم وجود أحد يراقبها، أو أحد يقول لها ما يجب ان تفعله وما لا يجب...

«ما بك، ايتها المرأة. ما الذي ترمين اليه؟» هدر صوت روركي مخترقاً هدوء وسكون الشاطىء.

اجفلت فيكتوريا ودارت بسرعة نحو مصدر الصوت ورأته يشق طريقه بسرعة واندفاع نحوها والمياه تتناثر حوله على شكل قطرات صغيرة وهو بكامل ملابسه، ووجهه متجهماً بغضب شديد.

صرخت بحنق: «ابتعد عني، اتسمعني، روركي؟ ابتعد...»

اسرعت تغطس في مياه البحر العميق، وهي تدفع نفسها بسرعة، ولكنه كان اسرع منها وامسكها بسهولة وشدها بقوة نحوه.

«ايتها الصغيرة الحمقاء، ماذا تحاولين ان تفعلي، اتريدين ان تقضي على نفسك؟»

أخذت فيكتوريا تدفع ساعداه عنها، قائلة: «دعني...»

صاح روركي في وجهها: «ما يجب ان أقوم به، هو ان اسجنك في غرفتك، انها الطريقة الوحيدة لأتأكد بها من حسن تصرفاتك.»

«كنت فعلاً احسن التصرف، وكنت استمتع بوقت طيب، إلى أن...»

«تعرفين جيداً ان الطبيب ماندوزا قال لك ان لا تجهدي نفسك، كما ان كونستانسيا اخبرتك بوجود التيارات على هذا الشاطىء.»

«تماماً كما يبدو، قل لي، اتعلم بكل هذه الأمور لأنك تقف على قمة جبل اوليمبس تراقب ما يجري وما يحصل في مملكتك، ام ان كلاب الحراسة التي تملكها تبلغك الاخبار ساعة بعد ساعة؟»

«كلاب الحراسة؟ اهكذا يكون وصفك للأشخاص الذين يهتمون بك ويسهرون على رعايتك؟»

«ان ذلك من دواعي اهتمامك أنت وحدك وقد انتهي على يديك بعد ذلك بامرأة ظلمت جوراً وبهتاناً، وقد يقاضيها بمليون او أكثر من الدولارات، من يدري.»

زفر روركي طويلاً ثم قال: «هيا بنا.» واحاط بذراعيه كتفيها برفق: «لنخرج من المياه، كفى...»

«شكراً لك.» وتحررت من ذراعيه وسبحت إلى الشاطىء الرملي وهو ورائها، ثم تابعت قولها: «انني بخير الآن. لماذا أنت هنا؟ فكونستانسيا قالت لي انك لن تعود قبل مساء هذا اليوم.»

لمعت عيناه ببريق غريب: «كيف استطيع ان ابقى بعيداً أكثر من ذلك، عندما أعلم بأنك تتشوقين لعودتي ورؤيتي؟»

«ان الشيء الوحيد الذي تشتاق اليه نفسي وتصبو اليه، هي الدقيقة المقبلة التي اغادر فيها هذه الجزيرة.»

ابتسم روركي وقال: «اذاً، لقد كانت كونستانسيا على حق، عندما قالت بأنك تشعرين بصحة افضل، وبدأ المكان يضيق بك، كأنما دبابيس عدة أخذت توخزك في اطرافك.»

«لا لست كذلك، انني فقط، تعبت من ان اعامل وكأنني عاجزة لا اقوى على القيام بأي شيء.»

«لكنك لست بعاجزة، يا فيكتوريا. انما اصبت بارتجاج في رأسك، ويجب ان تأخذي الأمور بروية أكثر كي تشفين من ذلك. والآن سأحضر لك ثياباً ناشفة وفنجاناً من الشاي لتهدئة أعصابك، و...»

قاطعته بغضب شديد: «ويحك، يا روركي...»

«حسناً، دعيني ارى كيف تبدين، قالت كونستانسيا بأن لون بشرتك أصبحت أفضل من الأول بكثير، وبأنها تتفانى بتغذيتك لتضيف بضع كيلو غرامات على جسدك النحيف.»

«لون بشرتي جيد جداً. كما انني لست بحاجة إلى تلك الكيلو غرامات الزائدة. انني...»

توقفت عن كلامها بذهول شديد وهي تراه ينقل نظراته عليها من رأسها إلى أخمص قدميها.

«بالفعل، تحسن لون بشرتك وبدأ يعود إلى طبيعته.»

قالت بصوت مرتجف: «هل انتهيت من تأملي؟»

ضحك روركي بلطف وعاد ينظر إلى وجهها قائلاً: «مابك يا فيكتوريا؟ هل تشعرين بالبرد؟»

قالت بتحد وجرأة: «نعم، انني اشعر بذلك. لكنني لن أعود إلى المنزل، بل سأقوم بنزهة سيراً على الاقدام.» ومشت بخطوات رشيقة ومتناسقة، ولكنها لم تستطع الابتعاد كثيراً وقد اسرع روركي بخطواته الواسعة ليصبح الى جانبها تماماً.

قالت باعتداد: «انني لست بحاجة إلى صحبة أحد، شكراً لك.»

«كيف كنت تشعرين في غيابي؟»

«لقد سبق وتكلمنا في هذا الموضوع، وعلى أية حال أظن انك قد تلقيت تقريراً كافياً من كونستانسيا ومن الطبيب ماندوزا، ومن المؤكد، من كل فرد من افراد خدمتك في...»

صرخت بألم عندما ضغط بيديه على كتفيها وأدارها إلى ناحيته: «قلت لك كيف تشعرين؟»

«لقد قلت لك...»

«إذاً، اخبريني مرة اخرى.»

«اشعر بأنني بخير وعلى اتم ما يرام.»

«يقول الطبيب ماندوزا انك ما زلت تشكين من آلام في رأسك.»

«نعم، لكن ليس دائماً، بل من وقت لآخر.»

«اما زلت ترين الأشياء مزدوجة؟»

ابتعدت عنه لتقول: «لا. ويمكنك ان تتوقف عن قلقك علي. لقد شفيت تماماً.»

«اذاً نشهد بذلك من معالجة الطبيب ماندوزا لك.»

«بالفعل، فهو يقوم بفحصي بدقة مرتين في اليوم الواحد.» وهمت بالمسير وعاد روركي يسرع ليكون إلى جانبها، فسألته: «أيسكن هو أيضاً في هذه الجزيرة؟»

«نعم، وعنده بيت في الجانب الآخر من الجزيرة.» ومال روركي منحنياً ليلتقط صدفة بحرية من على الرمال: «كما انه كفوٌ جداً في عمله، ان كان هذا ما يقلقك.»

قالت بصدق: «على أية حال، لم يطرأ ببالي ان يكون عكس ذلك، لكن الذي يدهشني انك تدعه يشاركك هذه الجزيرة الجميلة التي تملكها.»

www.elromancia.com

رفع روركي ذراعه ورمى الصدفة في البحر وأجابها: «ان الامور منسقة تماماً فيما بيننا. فماندوزا اصلا من نيويورك، وقد التقيت به منذ بضعة سنوات مضت، وكانت زوجته تعاني من مرض شديد، فجاء بها إلى هذه الجزيرة لمعالجتها وشفائها، وكان في اثنائها يدقق ويراجع حساباته كي يستقر في مكان ذو مناخ مميز وهادىء ولكن دون ان يعتزل عمله كلياً.»

«لذا، منحته الفرصة الذهبية ليكون الطبيب الخاص لروركي كامبل.»

«لقد منحته فرصة تأسيس عيادة صغيرة في هذه الجزيرة وجهزتها له على حسابي الخاص، وكونت بعد ذلك جماعة متوسطة العدد في هذه الجزيرة.»

«ماذا تقصد؟»

«أقصد، رأيت بنفسك كم هناك من المستخدمين الذين يقومون على خدمتي.»

«تعني، كم اعتاد من الاشخاص كي يحافظوا على نظام وتنسيق الامور في منزلك الضخم؟ نعم اعتقد هذا ما تعنيه فعلاً.»

«آسف ان أخيب املك، يا فيكتوريا، فمعظم هؤلاء المستخدمين كانوا يعيشون اساساً هنا، عندما تملكت هذه الجزيرة، ولم يكن في نيتي ان استبدلهم بأشخاص آخرين، لأنهم كفؤ ويقومون بأعمال عظيمة. فنحن نربي الماشية والدجاج، وهناك حقل لزراعة الخضار والفاكهة، كما ان هناك ايضاً قاربين يرسوان في الميناء لصيد الاسماك. من الضروري عند ذلك ان يكون هناك طبيب معالج ودائم البقاء من اجلي ومن اجل شعبي.»

«كل هذه الاشياء من أجل ان تهرب وتتخلص من ازدحام شوارع سان جوان الخانقة.»

قال بهدوء: «نعم كل هذه الاشياء لأتخلص من العالم الخانق الذي اكسب منه لقمة العيش، ولأعيش لبعض الوقت حياة هادئة ومريحة، ولكنني اعتقد بأن ذلك يبدو لك شيئاً مفرط به ومملٍ بالنسبة اليك.»

نظرت اليه متعجبة: «لماذا تقول ذلك؟»

«تقول كونستانسيا بأنك كنت متململة ومتضايقة. وتبدو عليك علامات الضجر، وتقول ايضاً...»

توقفت فيكتوريا عن المشي واستدارت نحوه لتقطع عليه كلامه: «هل خطر ببالك مرة بأنني قد اكون الشخص الأنسب لتسأل عني وعما أشعر به؟»

«حاولت ذلك عدة مرات، اتذكرين، وكنت في كل مرة تقولين لي بأنك بخير وعلى احسن ما يرام.»

«انني فعلاً كذلك. اعني، انني شفيت تماماً من تلك الحادثة التي اصابتني. لكن الذي اشعر به بعد ان شفيت بأنني ضجرة حتى الموت.»

«نعم، هذا ما كنت اعتقده طوال الوقت. وان جزيرة مثل هذه دون تلفاز ولا مذياع، ولا نواد او مطاعم او مسارح، قد تبعث فعلاً الملل، وتعوزها الحركة والنشاط بالنسبة...»

«ليس هناك شيء ممل ومعتم اذا حل السلام والصفاء والهدوء، يا روركي.»

ركز عينيه في عينيها وقال: «أترين ذلك؟»

ابعدت فيكتوريا خصلات شعرها المبلل عن وجهها

وقالت: «لا، وان كنت اشكو من الضجر، فذلك لأن ما من أحد يدعني أقوم بعمل ما.»

«ذلك لأنني تركت اوامر مشددة...»

«اعرف، وهنا تكمن المشكلة.» ورفعت ذراعيها في الهواء بحركة معبرة وقالت: «أكاد أجن، فأنا لست معتادة ان لا افعل شيئاً ساعة بعد ساعة.»

طوى روركي ذراعيه فوق صدره وقال: «وما الذي تودين القيام به؟ ترسمين بعض اللوحات، او ربما تمارسين الحفر على الحجر، او ربما تشرعين في احتلال سواحل سواهيلي؟»

«ما رأيك لو انني أقوم بتوضيب السرير الذي انام عليه، مثلاً؟ او ان أعد الخبز المحمص بنفسي للافطار؟ أو حتى أنا التي احضر ثوب النوم في الليل...»

قال وابتسامته تتسع أكثر فأكثر: «آه، ان ذلك أمر سيىء فعلاً. فالسيدة تستعمل ثوب النوم، وأنا الذي كنت اتخيلها طوال الوقت انها تستعمل قميصي.»

قالت فيكتوريا بسرعة: «الهدف من كل ذلك، انني قادرة وبكل اصرار، لأن أقوم بأي شيء نافع.»

قال روركي بهدوء: «نعم، كما انني متأكد من انك تتحلين بهذه القوة. لكنني لست بحاجة إلى طباخة أو إلى أي خادمة أخرى، أنا لست بحاجة إلى مدبرة منزل...»

«حسناً، من المؤكد انك بحاجة لأحد يعتني بابنتك.»

اتسعت عيناها بحذر وقد ادركت فجأة ما قالته دون سابق تفكير. ولكن وبعد ان تفوهت بهذا الكلام، ادركت فجأة ان الفكرة كانت تتأرجح في مخيلتها خلال اليومين السابقين.

وهي التي تألمت لطفلة لم تقع عليها عيناها حتى الآن. من دون شك، انها تلقى أفضل عناية من الناحية الغذائية ومن أي شيء عملي آخر، لكنها ينقصها الحب والحنان اللذين تحتاجهما.

قال ببرود: «وما يفترض ان يعني ذلك؟»

بلعت فيكتوريا بريقها وقالت: «لقد رأيت مربيتها...»

«اميليا.»

«مهما يكن اسمها، وتأكدت بأنها فعلاً مؤهلة لرعاية الاطفال. لكن الذي لاحظته، بأنها لم تقم بأي شيء تجاه طفلتك خلال اليومين الماضيين. حتى انها لم تخرجها من المنزل...» توقفت فيكتوريا عن كلامها لتلتقط انفاسها ثم تابعت تقول: «لماذا تنظر إلي بهذا الشكل؟»

بدت تعابير وجه روركي متجهمة ومروعة وهو يقول: «انك فعلاً لا تعرفين الا الشيء القليل عني، وتدعين في الوقت نفسه ثقتك ومعرفتك بكل شيء.»

«اسمع، أنا لا انتقدك على افعالك.»

«الست فعلاً كذلك؟»

«فكرت فقط، بما ان اقامتي ستستمر ليومين آخرين...»

«الذي كنت تفكرين به، طالما ان الامبراطور الظالم قد سجن طفلته في هذا القصر، ستقدمين ولاشك، على تحريرها منه.»

اضطربت فيكتوريا وقالت بتعثر: «لا، كنت اعني...»

«الطريقة التي تفكرين بها مروعة، يا فيكتوريا، وتظنين بأنني الملك ميداس، وانت...» واقترب منها ليضغط على رسغيها بيديه القويتين وهو يديرها إليه: «أنت. أنت السيدة

بونتيفول، التي ملت من الحياة التي تحياها وتود ان تلهي نفسها بالدمى.»

ارتعشت شفتي فكتوريا بخوف شديد وهي تقول: «ليس الأمر كذلك على الاطلاق. أنا... أنا أحب الأولاد، كما انه يؤلمني أن أرى طفلة تلهو وحيدة دون رفيق، وينقصها الحب والرعاية... أو...»

«والدي!»

نظر رووركي إلى ما وراء فيكتوريا، وقد تغيرت ملامح وجهه فجأة، ورسم ابتسامة لطيفة بدلت من حالته كلياً، تماماً مثل الابتسامة التي ابتسمها لها عندما التقت به لأول مرة في مصعد شركة كامبل.

هتف رووركي: «سوزانا.»

التفتت فيكتوريا عندما حررها رووركي من بين يديه، واحست بقلبها يهوي من مكانه، ورأت المربية الاسبانية تقف على بعد بضع ياردات على رمل الشاطىء وتحضن طفلة بين ذراعيها.

قالت المربية كلاماً سريعاً بلغتها الاسبانية، فأجابها رووركي بسرعة مماثلة، ثم جثم على ركبتيه ومد ذراعيه عندما انزلت المربية الطفلة لتسرع إلى حضن والدها، وكان وجهها يشع اشراقاً ومرحاً، وما ان وصلت اليه، حتى حملها وأخذ يؤرجحها في الهواء.

«مرحباً، يا حبيبة قلبي، هل ظننت بأنني لن أعود اليك؟»

عادت المربية تقول شيئاً آخر، وطأطأ رووركي برأسه ثم قال لفيكتوريا: «انها على حق، كان علي ان آخذ سوزانا معي إلى الشاطىء واقدمكما لبعضكما البعض بشكل لائق.»

ابتسم ابتسامة عريضة واجلس الطفلة على كتفيه: «سوزي، هذه فيكتوريا، هل تسلمين عليها وتقولي لها مرحباً.»

أخذت الطفلة تضحك بمرح وخجل وقالت لفيكتوريا بالاسبانية: «لو، توريا.»

حثت فيكتوريا نفسها بعنف لتقول أي شيء، وان تتوقف عن التحديق بشعرها الداكن وبعينيها الزرقاوين كأنها لا تصدق انها ابنة رووركي. ثم قالت في نفسها، لِمَ لا تكون ابنته؟ طالما لون شعر رووركي داكن وعيناه رماديتان...

«تعتقد سوزانا انني تخليت عنها من أجلك أنت.»

اجفلت فيكتوريا ونظرت اليه، لتراه يراقبها بعينين ضيقتين وقد خلا وجهه من أية تعابير.

«آ... آسفة، ماذا كنت تقول؟»

«كنت أقول، تخليت عنها بسببك يا فيكتوريا. لقد اضطرت اميليا ان تتخلى عن استحمام سوزي، ودفعتها للنوم بعد ان قمنا بجولة بالطائرة المروحية، وذلك لأنني كنت قد وعدتها بأن اضعها بنفسي في السرير. لكنني تأخرت عنها، لأنني كنت أحاول انقاذك.»

«انك لم تنقذني، وكنت على احسن حال، إلى أن...» توقفت فيكتوريا لتحدق به وكأنها تذكرت شيئاً: «عن أية جولة تتكلم؟»

انزل رووركي الطفلة عن كتفيه إلى الرمل ومسد على رأسها بدلال، ثم اسرعت إلى مربيتها.

«الجولة التي اعادتنا من سان جوان، من ميامي على الاصح. لكن...»

«تعني... تعني ان سوزانا كانت معك؟ وانها لم تكن هنا طوال فترة غيابك؟»

ابتسم رووركي قائلاً بلطف: «يا له من كائن مخيف كونته عني، يا فيكتوريا. بأنني رووركي كامبل العديم الرحمة والقاسي القلب.»

«انتظر لحظة، انني لم...»

«وانني رأسمالي جشع، سافرت لأجني الملايين من صفقة رابحة بينما ابنتي تفتقر إلى العطف والمحبة في قصري... هل نسيت شيئاً آخر؟»

«هذا ليس كما... انني لم...» وتأكد لفيكتوريا ان لا فائدة من مجادلته، فقد كان على حق. فهزت برأسها بعد لحظات وقالت بلطف: «آسفة، حقاً انني آسفة.»

تابع رووركي النظر اليها ولبضع ثوان، ثم تنفس بعمق ومشى واياها على مهل في اتجاه المنزل.

«حسناً، اعتقد بأنني لن ألومك على ذلك. واعتقد بأنني عدت في ذلك اليوم كعودة الملك الفاتح إلى جزيرته.»

قالت بهدوء: «نعم. كنت كذلك فعلاً.»

رفع كتفيه بحركة معبرة: «اسمعي، انني لا أقدم عذراً...»

«لا. لم اتصور ذلك ابداً.»

«لكن يمكن تسميته تفسير وتوضيح.» وتنحنح قليلاً ليتابع: «حدث ذلك، لأن الشكوك حولك كانت تملأ رأسي.»

أحست بضيق في تنفسها وقالت بصوت خافت: «نعم، واعتقد، بأنني افهم سبب ذلك، على أية حال...»

بدت عيناه مكفهرتان، وقال بهدوء: «لا اشك انك بالفعل تفهمين ذلك.» ثم ابتسم وهو يتابع: «اعتقد، بأنني اقدم اعتذاري لك. فقد انطلقنا معاً في بداية سيئة، وأود ان اغير طريقة ذلك الانطلاق الآن.»

رفعت فيكتوريا رأسها لتنظر في وجهه. وشعرت بدوامة رووركي كامبل البارد والمتغطرس الذي تعرفه؟ وأين هو الرجل الخالي من الشعور ومن العاطفة الابوية الذي تكلمت عنه ووصفته كونستانسيا؟

«إذاً؟ اتظنين بأنه يمكننا ان نكون صديقان؟»

«نعم، نعم، أود... أود ذلك بالفعل.»

«عظيم، لنعقد معاً صلحاً اذاً.» وافقت فيكتوريا ومدت يدها لتمسك بيد رووركي كمعاهدة صلح بينهما.

قال لها: «أصدقاء؟»

طأطأت برأسها وهي لا تدري ما تستطيع قوله في هذه الحالة، وسارا معاً ببطء باتجاه المنزل.

www.elromancia.com

الفصل السادس

بعد ظهر هذا اليوم، كان يسود القصر سكون هادىء يريح النفس، لا يعكره سوى طنين النحل الآتي من باب المطبخ المفتوح، وكان يتنقل بمرح وصخب على الأزهار التي نمت بكثرة في الحديقة.

كانت كونستانسيا تخرج حبوب البازيلاء من قرونها وتضعها في وعاء من الفخار، ولما انتهت من عملها نهضت وتوجهت إلى المغسلة، فتحت حنفية الماء وأخذت تدمدم بأغنية لم تحفظ كلماتها جيداً.

كانت فيكتوريا معها في المطبخ، تنسق بعض الأزهار الجميلة في سلة محبوكة، وكانت الأزهار من نوع الغرانغيباني، والبوغانفيليا، والبريونكلز. ابتسمت حالما سمعت غناء كونستانسيا ثم رفعت رأسها وقالت:

«انه لحن جميل، يا كونستانسيا، فما هو؟»

ضحكت مدبرة المنزل ونشفت يديها المبللتين بقطعة قماش وقالت: «انه فعلاً كذلك، لكن ليس عندما أغنيه أنا، على ما أظن. فمعرفتي الموسيقية الضعيفة لا تمكنني من اداء اللحن الأساسي لأي أغنية... لا شيكا، هي الوحيدة التي تقدّر غنائي في هذا المنزل.»

«تقصدين سوزانا.» قالت فيكتوريا ذلك وهي تضع آخر زهرة في السلة، ثم تحركت قليلاً لتواجه كونستانسيا وقالت: «تبدو انها طفلة محبوبة وعذبة.»

هزت كونستانسيا برأسها قائلة: «نعم، انها لكذلك.»

«كونستانسيا؟ عندما قلت تلك الكلمات عن أحد ما في هذا المنزل انه بارد وعديم العاطفة والقلب... كنت تقصدين زوجة السينيور كامبل، أليس كذلك؟»

«نعم، وبالطبع. ومن غيرها أقصد بهذه الصفات؟» وأخذت تفتش في البراد إلى ان وجدت الطبق الكبير الذي وضع فيه نوع من السمك الطازج.

نظرت فيكتوريا إليها وقالت ببطء: «لاحظت ان سوزانا لا تذكر والدتها كثيراً.»

«لا، ذلك لأن والدتها عندما تركت هذا المنزل كانت سوزانا ما زالت طفلة رضيعة.»

كان ذلك صعب على ادراك فيكتوريا وتصورها، وهي التي كان قلبها يتألم على طفلتها التي لم ترها عيناها مرة واحدة، بينما زوجة رووركي غادرت المنزل غير سائلة وعابئة بطفلتها.

«وهل عادت بعد ذلك لترى سوزي؟»

«نعم عادت، لكن عودتها لم تكن حباً بطفلتها. ان المشاكل ما بين السينيور والسينيوريتا مستمرة دائماً.» وخيّم الصمت لبرهة، ثم تابعت كلامها مبتسمة: «إذاً، أنت أحببت سوزي، أليس كذلك؟ لقد لاحظت ذلك وأنت تمضين أكثر أوقاتك معها في الأيام القليلة الماضية.»

ابتسمت فيكتوريا وقالت بتلعثم: «أنا... أنا أحب الأولاد كثيراً وسوزانا طفلة ممتعة تبهج النفس.»

«نعم، انها فعلاً كما تقولين، كما انك لطيفة معها، انها تسرّ وتفرح من أي سيدة تضحك لها وتؤنسها.»

«تسرني طريقة تفكيرك.»

قالت مدبرة المنزل وهي تبتسم بخبث: «لقد لمست ذلك بنفسي، ولمست أيضاً، بأن سوزي ليست الوحيدة التي تبهج وتفرح، أليس كذلك؟»

نظرت فيكتوريا إليها بدهشة: «ماذا تقصدين؟»

«أقصد بأن السينيور كامبل، سعيد جداً، هو الآخر.» وتناولت سكيناً من على الرف، وأخذت تسنه على حجر صواني: «انني لم أره هكذا سعيداً منذ فترة طويلة.»

شعرت فيكتوريا بسعادة غريبة وقالت بدهشة: «أصحيح ما تقولينه؟»

هزت مدبرة المنزل رأسها ايجاباً: «أراه يضحك من كل قلبه، ويعود كل ليلة باكراً إلى البيت على غير عادته.»

«حسناً، اعتقد... أعتقد بأنه يقوم بذلك من باب الأدب والمجاملة.»

«أتعتقدين ذلك؟ ولكنني لا أعتقد بأنه من الرجال الذين يكترثون للأدب أو لغير الأدب، يا سينيوريتا. ومثال على ذلك، فلو جاء الحاكم بنفسه إلى هنا، والسينيور كامبل لا يريد أن يكلمه، فإنه لا يهتم به.»

ضحكت فيكتوريا وقالت: «أعتقد انك على حق في ذلك.»

«طبعاً أنا على حق. وأنا التي ألاحظه عندما يجلس قبالتك إلى طاولة العشاء كل ليلة، يكلمك ويبتسم لك، عوضاً من ان يأكل طعامه بمفرده ويقرأ الجريدة اليومية... انه أمر لم أصادف مثله من قبل.»

«أتعنين منذ طلاقه من زوجته؟»

«حتى قبل أن يتم طلاقهما أيضاً. فزوجته لم تكن تمضي

أية سهرة في البيت.» قالت ذلك ووضعت مقلاة فوق الغاز: «انها لا تستحقه أبداً، وهذا شيء مؤكد.»

«لكن لماذا هجرته؟»

اكفهر وجهها وقالت: «هجرته من أجل رجل آخر.»

حدقت فيكتوريا في وجهها بدهشة: «تركت رووركي من أجل رجل آخر؟ لكن كيف استطاعت أن تفعل ذلك؟» توقفت عن الكلام وشعرت بخديها تتوردان خجلاً، ثم وقفت بسرعة: «أفكر... أفكر بأن أتمشى قليلاً قبل أن أتناول طعام العشاء، فإذا وصل السينيور باكراً، وأراد رؤيتي...»

«وماذا لو أراد ذلك فعلاً.» قال رووركي مبتسماً لها عندما استدارت نحوه بعد ان جفلت لقدومه المبكر.

«رووركي.» وبلعت فيكتوريا بريقها: «لم أنتبه لمجيئك، كم مضى من الوقت وأنت في وقفتك هذه؟»

ابتسم لها مجدداً وقال: «بضع ثوان ليس أكثر. لم أرغب أن أقطع عليكما ذلك الحديث. وأتمنى أن لا تكون كونستانسيا قد جعلتك تقومين بأشياء كثيرة.»

«لا. أبداً حتى انها لم تدعني أرفع اصبعاً واحداً.»

ابتسم وقال: «... أسود وأزرق.»

اجفلت فيكتوريا وقالت: «ماذا؟»

تقدم منها قائلاً: «قلت، يجب عليك ألاّ تحاولي القيام بأي شيء متعب ومرهق بعد الآن. لأنك ما زلت تعانين من الارتجاج الذهني، فعينيك ما زالتا شاحبتين.»

«نعم، انهما كذلك ولكن قليلاً. ويقول الطبيب ماندوزا...»

«اديري من فضلك رأسك إلى الضوء.» وأمسك رووركي رأسها بيديه ورفعه قليلاً. وشعرت بيديه الباردتين على

www.elromancia.com

بشرتها المضطربة، أخذت ترتجف بعض الشيء، وقطب حاجبيه أكثر من الأول وقال: «ماذا هناك؟»

قالت بسرعة: «لا شيء.»

«أيؤلمك ذلك؟»

أخذت يداه تتحركان بلطف وخفة على بشرتها ثم تكلمت بسرعة كي تخفي اضطرابها وارتجافها: «لا، انني فقط... انني فقط... في الحقيقة... في الحقيقة، ذلك يعود إلى تعرّض عيناي للشمس.»

ابتسم رووركي وهو يحررها وقال: «ذلك لأن الشمس حاولت أن تقول لك شيئاً.»

«أهي فعلاً كذلك؟»

هز برأسه ايجاباً وقال: «نعم.» ثم استدار ناحية كونستانسيا قائلاً: «كونستانسيا؟ كم من الوقت تبقى ليحين موعد طعام العشاء؟»

«ليس أكثر من عشرين دقيقة.»

ابتسم رووركي ابتسامة واسعة وقال: «آه، أظن ساعة من الزمن، للوقت المناسب.»

ردت مدبرة المنزل: «قلت عشرون دقيقة، سينيور.»

«كونستانسيا! كيف سأتمكن عند ذلك أن أدعو سينيوريتا هاميلتون إلى أجمل وأبدع غروب للشمس في العالم، في هذا الوقت القليل.»

نظرت فيكتوريا إليه بذهول تام: «يلزمنا ساعة من الوقت كي نرى غروب الشمس؟»

أجاب مازحاً: «أترين معي يا كونستانسيا، كم ان السيدة لا تعرف إلا القليل عن غروب الشمس؟ ما قولك في ذلك؟»

تنهدت كونستانسيا وقالت: «نعم، كما تريد، ساعة من الزمن.» ونظرت متأسفة إلى السمك الذي في الطبق الكبير الذي ينتظر قرب المقلاة: «وما قد يطرأ بعد ذلك على التشيلو سيكون على مسؤوليتك.»

أدركت فيكتوريا بعد قليل، لماذا كان يمضي ساعة من الزمن يراقب غروب الشمس على جزيرة لا بانيترا.

دخل أولاً إلى مكتبة المنزل، حيث نزع عنه سترته وربطة عنقه ووضعهما على كرسي.

فتح خزانة خشبية من النوع الماهاغوني والتي كان في داخلها زجاجات متعددة الأصناف وقال: «اننا بحاجة لبعض التحضيرات لرحلتنا هذه.»

ضحكت فيكتوريا وقالت: «عمَّ تتكلم؟ وما قد تكون هذه الرحلة؟»

قال متجاهلاً أسئلتها: «ما رأيك؟ هل نأخذ معنا زجاجة شراب الاناناس؟ أو شراب التوت؟ قولي أنت ماذا تفضلين؟»

«كما تشاء لا فرق.»

ابتسم لها ثم فتح براداً صغيراً قرب الخزانة وأخذ منه بعضاً من عصير الأناناس والكريما، وقطع من الثلج... «والآن إلى الشراب الخاص بعائلة كامبل...»

كانت فيكتوريا تراقبه ضاحكة، بينما هو يضع هذه الأشياء في خفاقة كهربائية، ثم أخذ يخفقها جيداً إلى ان أصبحت كالزبدة.

قال وهو يسكب الشراب في كوبين بزهو للعمل الذي قام به: «ها قد انتهيت. انها مؤونة لرحلتنا هذه، هل أنت مستعدة، يا آنسة هاميلتون؟»

www.elromancia.com

«نعم، انني على استعداد لذلك، لكن إلى أين سنذهب؟»

ابتسم رووركي بغموض وهو يناولها كوباً بارداً: «سوف نلتمس غروب الشمس المبهج.»

تشابكت ايديهما وسارا ضاحكين، وهما يشقان طريقهما إلى الفناء الخارجي ومنه إلى الحديقة، التي تظللها شجرة نخيل ضخمة ومسننة الأغصان، وعندما اقتربا منها وجد رووركي بأن ثمارها قد نضجت سريعاً من تأثير حرارة الشمس عليها.

«أول توقف اجباري لجولة كامبل.» قال رووركي ذلك وهو يشير إلى الشجرة العالية: «ماذا تقولين؟»

«أقول ان ذلك شيء رائع.»

وخيم صمت مفاجيء تكلمت به العيون وتخاطبت بأروع وأصدق مما قد ينطق به لسانهما. ابتسم وقال: «هيا بنا، فعلينا أن نتوقف مرتين بعد.»

ضحكت فيكتوريا قائلة: «مرتين بعد؟ لكن...»

«وسيحصل مشهد غروب الشمس من دوننا، إذا تأخرنا. حسناً، سيكون توقفنا الاجباري الثاني، في قمة جبل بانتر.»

كان الجبل أعلى بقليل من منحدر معتدل، وقد علا في وسط جزيرة لا بانتيرا. ووصلا إلى قمته عبر ممر ملتوي ومعشب والذي شبهه رووركي ضاحكاً بالقمة وكأنها معلقة في الأفق وتنتظر قدومهما ليشاركا في عرضها البديع، وتحولت الغيوم القليلة للون قرمزي تخالطه خيوط واهية ذهبية من أشعة شمس المغيب.

«آه، رووركي. يا له من مشهد رائع.»

«نعم، انه فعلاً كذلك، وأعتقد انني أستطيع أن أقضي هنا كل العمر، لا أملّ ولا أضجر من هذا المشهد الرائع.» قال لها ذلك مشيراً إلى الأفق: «وفي الخريف، هذا إذا حالفك الحظ وبقيت، يمكنك مشاهدة الرياح العاتية تهب عبر البحر الكاريبي، وكأنها أشباح سوداء اللون تعصف بالجزيرة.»

قالت ببطء ودهشة: «انني لم أشاهد في حياتي كلها مشهداً أروع وأجمل من هذا. أشعر بانني لن أتمكن من مغادرة هذا المكان.»

أومأ برأسه قائلاً: «هناك مكان واحد آخر بعد، أروع وأجمل من هذا المكان. هيا، لأريك ذلك المشهد النادر.»

وقفا بعد فترة وجيزة، وهما حافيا القدمين على الرمل الدافيء على الشاطيء، وأدركت فيكتوريا انه كان على حق فيما قاله. فقد كان مشهد الشمس، وهي تلقي بثقلها على الأفق، مشهد دراماتيكي تقشعر له الأبدان. «هل الغروب دائماً على هذا النحو؟»

ابتسم رووركي قائلاً: «لا، انها ليست دائماً على هذا النحو، أحياناً تكون متقدة ومشرقة أكثر من ذلك.»

بادلته الابتسام قائلة: «فهمت الآن لماذا اشتريت جزيرة لا بانتيرا.»

«من أجل غروب الشمس فقط؟» ضحك بلطف وتابع يقول: «في الحقيقة لسببين جوهريين.»

«حسناً، ما هو السبب الثاني الآخر؟»

ضغط على كتفها بخفة وقال: «من أجل شروق الشمس.»

«لا أدري لماذا تملكني الشعور بأنك لا تمزح معي؟»

أخذ رووركي الكوب الفارغ من يدها ووضعه إلى جانب كوبه

www.elromancia.com

على الرمال، وتمشيا بعد ذلك على مهل على طول الشاطىء، وكانت الأمواج الصغيرة تضرب بلطف أقدامهما العارية.

«بدأت محاولات شراء هذه الجزيرة كمغامرة تجارية. وقد رأيت ان العديد من الجزر في هذا العالم، قد بيعت وطورت بطريقة سيئة، وفكرت في انه توجد جماعات بنظام وقانون مشترك في هذه الجزيرة التي قد تجذب السياح بينما لم يتوصل أحد من الحكام إلى حل وسط يرضي وينظم سكانها أسلوب حياتهم.»

«يبدو ان ذلك صعب المنال والتحقيق.»

«ما من شيء صعب... ولكنه عسير جداً، لقد كلفت أحدهم ليلتقط لي صوراً من الجو لهذه المنطقة، كجزء من الاتفاق في شراء هذه الجزيرة، والصور الفوتوغرافية هذه جعلتني أشتري اسلا دو لا بانتيرا وأنتقل للعيش فيها.»

«أي جزيرة بانثر، أو جزيرة النمر المفترس.»

ابتسم روركي قائلاً: «ان كلامك في اللغة الاسبانية يتقدم بسرعة، هممم؟»

ضحكت وقالت: «لقد سبق وسألت كونستانسيا ما يعنيه هذا الاسم، وقالت انها لم تسمى على اسم النمر الأسود بل إلى اليغور أي النمر الغامض الذي تكتنفه الأسرار.»

«ان ذلك لأمر غامض فعلاً. ذلك إذا أخذنا بعين الاعتبار، ان النمر الأسود واليغور لم يتواجدا على هذه الجزر.»

«لماذا سميت بهذا الاسم، إذاً؟»

قال روركي وهو ينظر إلى الأفق: «لن تجدي أحداً يعطيك جواباً صحيحاً حول ذلك، لكن من المرجح، بأن الاسم يتعلق بأساطير.»

«أساطير.»

«صدقيني، فالأكثرية من سكان الجزر الكاريبية يقولون ان الأسطورة تتحدث عن مخلوق انعزل عن بقية الناس... ويتكون من نصفين، النصف الأول على صورة رجل، والنصف الثاني على صورة نمر اليغور... الذي يتجول في تلك التلال المحيطة.» وأشار إلى التلال التي كونتها الرمال وقد تضاءل فيها الضوء أكثر من أي مكان حولها: «كما ان الاسطورة تقول انه يعيش هناك بمفرده، لأنه لم يجد سلاماً في أي مكان آخر.»

«كم ان هذا محزن.»

أومأ برأسه قائلاً: «نعم. لقد اعتقدت ذلك، أيضاً وكنت قد حلقت بالطائرة فوق الجزيرة في الماضي لألقي نظرة جوية عليها... وصممت وقتها بأنه يجب أن أحصل عليها.»

«وهكذا كان واشتريتها.»

«ثم علمت بعد مدة طويلة، ان الحكومة توافق على بيعها... لأنها كانت قد أعدت مشاريع سياحية للجزيرة. وصادفت بعض المعارضين لمشروعي هذا... الذين كانوا يظنون ان الجزيرة ستصبح منعزلة تماماً عن بقية الجزر ولن يكون لها أية قيمة بعد ذلك.»

«لكنهم كانوا على خطأ.»

ضحك قليلاً وقال: «من يدري ما هو الصح وما هو الخطأ في هذه الحياة، يا فيكتوريا؟ وانني أؤكد بأن هذه الجزيرة، أثمن من أية قيمة مادية. لكن البعض الآخر لا يحبذون في أن أعيش هنا، ويقولون لي ان حياتي هنا بدائية، وبعيدة عن كل ملذات الدنيا...»

www.elromancia.com

تلاشى صوته، نظرت فيكتوريا إليه، ولاحظت من تعابير وجهه، بأنه كان يقصد زوجته بكلامه هذا.

«روركي؟ هل كنت تعرف شعور زوجتك عند شرائك هذه الجزيرة؟»

سكت عن الكلام فجأة، ولم يحر جواباً لفترة وجيزة، مما جعلها ترتعش اضطراباً لخطورة السؤال الذي طرحته عليه.

لكنه تكلم فجأة وقال: «أي نوع من الأسئلة هو هذا؟»

أربكتها خشونة صوته، فتمتمت: «كنت فقط... أتساءل كيف... أعني، قالت لي كونستانسيا...»

توقفت فجأة وكأنها تريد أن تبتلع الكلمات التي كادت أن تنطق بها، وقد ندمت لو انها فكرت قليلاً قبل أن تتفوه بها.

«ان كونستانسيا كبرت وأصبحت سيدة عجوز لا هم عندها سوى الثرثرة التي لا تنفع. ماذا قالت لك بالتحديد؟»

«لا شيء مهم، فقط قالت ان زوجتك لم تعد ترغب في أن تعيش على هذه الجزيرة.»

جاءت ضحكته خالية من أي نوع من الفكاهة: «نعم، يا فيكتوريا، لقد كانت فعلاً تكره العيش في الجزيرة.»

«كما انكما... انكما مطلقان.»

«نعم، اننا كذلك، وذلك منذ أكثر من عدة سنوات. هل هناك أي شيء آخر تودين معرفته؟»

«آسفة. أنا... لم أقصد التطفل.»

ضغط روركي على يدها وقال بضيق: «انني لا أرغب في التحدث بشأن الكساندرا. هل أنا واضح.»

أومأت فيكتوريا برأسها وقالت بلطف وعذوبة: «نعم.»

آه، نعم، فكرت وهما عائدين إلى حديقة المنزل، لقد

أوضح نفسه تماماً. وكانت كونستانسيا على حق، انه لم ينتهِ بعد الذي حدث ما بين روركي وزوجته، أما يزال يفتقدها؟ نعم، لا بد من ذلك، ولهذا السبب لم يستطع أن يتحدث عنها.

«توريا؟ ماذا هناك؟»

«لا شيء، شعرت فقط... بقشعريرة من البرد هذا كل ما في الأمر.»

«الحق علي، لقد جعلتك تسيرين هذه المسافة الطويلة. هل أعود إلى المنزل بسرعة وأحضر سيارة الجيب؟»

قالت بسرعة: «لا، انني بخير، أعتقد ان ما يحصل لي، سببه تفكيري بأنني سأغادر هذا المكان في اليوم الذي ما بعد غد.»

«في اليوم الذي ما بعد غد.» تمتم متنبهاً: «هذا صحيح، كدت أنسى تاريخ مغادرتك.»

ستعود إلى وطنها، والذي يقع على مسافة ملايين من الأميال، أما روركي سيبقى هنا، ولن تراه مرة أخرى، لن...

قطع روركي حبل أفكارها قائلاً: «تقول كونستانسيا بأنك تتعلمين اللغة الاسبانية.»

«نعم. كنت أحاول ذلك، على الأقل. وكانت كونستانسيا معلمة جيدة لي، لكنني ما زلت أشعر بأنني في مكان غير مكاني وأنا التي أنتمي إلى منطقة الغرب الأوسط.»

تباطأ روركي في مشيته وقال: «أهذا ما تشعرين به؟ انك في مكان غير مكانك؟»

هزّت فيكتوريا برأسها تنفي ذلك: «لا، لم أقصد ذلك، فكل شخص هنا كان طيباً ولطيفاً معي.»

www.elromancia.com

توقف واستدار نحوها وهو يمسك بكتفيها: «إذاً، أنت لا تشعرين بأن جزيرة لا بانتيرا كناية عن سجن؟»

«سجن؟ لا، أبداً. لماذا تظن ذلك؟ لا بد وان جون قد أخبرك بما قلته بشأن طيور الببغاء.» توقفت لتصطدم بصمته وعدم تعليقه على كلامها لكنها تابعت مبتسمة بحزن: «كنت بالحنق والغضب في ذلك اليوم، واعتقد...»

«اعتقدت، آه، بأنه هناك رجل ثري، يلعب دور البطل الاغريقي، وكنت على حق في ذلك، من ناحية ما.»

«رووركي...»

«إن هذه الطيور من النوع الذي يعيش في الأدغال الممطرة في ضواحي البرازيل، وكان لي صديق... صديق من أيام الدراسة... وقد قام بدراسات طبية وعلمية حول ذلك النوع، وفهم بأنه حكم عليها بالموت السريع وذلك نتيجة الحريق الذي حصل في تلك الأدغال ومن البشر الذين انتهكوا حرمة وجودها وزيادة عددهم في مناطقها...»

«تعني انك نقلتهم إلى جزيرتك لتنقذهم مما كانوا هم عليه؟»

ابتسم قليلاً: «انني لست غيوراً كلياً على الأشياء الأخرى، يا فيكتوريا. ولكنني أحضرتهم إلى هنا من أجل مصلحتنا معاً، مصلحة سرب الطيور ومصلحتي. فخلصتهم مما أصابهم أولاً، وثانياً منحوني السعادة والبهجة، هل فهمت ما أعنيه؟»

نعم، فكرت في نفسها، نعم فهمت. كان يحاول أن يقول لها انه رجل يمكنه الحصول على كل شيء يريده.

«توريا، أنت تحبين هذا المكان، أليس كذلك؟»

«نعم، كثيراً، وخاصة عندما توقف الجميع عن معاملتي كأنني عاجزة لا أقوى على القيام بأي شيء.»

«لاحظت بأنك توصلت لمعرفة الناحية الطيبة في كونستانسيا، لكن صدقيني، ان ذلك يتطلب مشقة لمعرفته. تقول اميليا بأنك متفقة تماماً مع سوزانا.»

«ان ذلك لم يأخذ مني وقتاً وجهداً، على كل حال انها فتاة رائعة.»

«أوافقك تماماً لما تقولينه بصددها.» ونظر إليها بامعان قائلاً: «أتحبين الأولاد، يا فيكتوريا؟»

شعرت بضيق في قلبها، وقالت: «نعم، أحب الأولاد.»

هب نسيم الليل بلطف حاملاً معه عبير الأزهار المتعددة الألوان من الحديقة، وتطايرت بعض خصلات شعرها إلى وجهها، مد رووركي يده وأبعد تلك الخصلات إلى وراء أذنيها، وأحست بنعومة أصابعه لدى ملامسته لبشرتها.

«لماذا لا يوجد هناك رجل ينتظر عودتك في... ما هو اسم المكان الذي تسكنين فيه في وطنك؟»

«برودول، و...» وحبست أنفاسها ثم أضافت: «كيف عرفت انه ليس هناك رجل ينتظرني؟»

«لقد أخبرتني ذلك بنفسك، هل نسيت؟ على أية حال، لو كان هناك من أحد، لما كنت قدمت بحثاً عن عمل هنا.»

لم تفهم ما الذي يقصده، فقالت له: «عمَّ تتكلم؟»

نظر إليها قائلاً: «لقد قلت لي انك جئت تبحثين عن عمل في اليوم الذي اقتحمت فيه مبنى شركة كامبل.»

زفرت فيكتوريا بشدة ثم قالت: «آه، انك تتكلم عن ذلك الموضوع.» وأجبرت نفسها على الضحك قليلاً وقالت: «في

الحقيقة... صدر مني ذلك عفواً للحظة التي كنت فيها. فقد... فقد جئت إلى هنا في اجازة، وعندما وقعت عيناي على شمسكم الدافئة وبحركم الرائع، فكرت، لماذا أعود إلى بلادي حيث هناك الشتاء ببرودته وقساوته.»

«نعم، أفهم ذلك وقد تخلصت من أجواء الشتاء الشمالية. هل قلت لي الحقيقة عندما تكلمت عن نفسك؟»

أحست بقلبها ينقبض بشدة وقالت: «الحقيقة؟»

«نعم، وهل أنت فعلاً نادلة في مطعم؟»

«نعم. هل هناك من شيء غريب في انني نادلة؟»

«كنت أفكر فقط على ان عملاً كهذا يرهقك ويتعبك.»

«فعلاً.» وجاء قولها جامداً لا حياة فيه.

«نعم، انه فعلاً كذلك. لأنني أمضيت كل صيف فيما مضى أعمل نادل عندما كنت ما ازال طالباً جامعياً.»

رفعت حاجبيها متعجبة وقالت: «لا أصدق ذلك.»

ضحك روركي وأخذ ينشد أغنية بدائية قديمة.

شعرت وكأن بالجرح الذي تملكها منذ لحظات قد فارقها: «من أين جئت بهذه الأغنية الشعبية القديمة؟ لا تقل لي ان اصولك تعود لرجل بدائي ومتواضع؟»

ضحك روركي قائلاً: «أصلي يعود من مستوى رفيع ونبيل لكن متواضع وذلك بإرادة والدي الذي رفض أن يخوض حقل الأعمال التجارية، لكننا تطرقنا إلى قصة مختلفة الآن... والآن، أريد أن أتأكد من شيء واحد، هل تحبين فعلاً جزيرة لا بانتيرا؟»

قالت بابتسامة متحيرة: «نعم. انني حقاً أحبها.»

«ألا يقلقك ان تدوسي على مهنتك وتنسيها تماماً؟»

ضحكت وأجابت: «من الممكن قول ذلك، نعم.»

ابتسم بخبث وقال: «وأنت، ألم تعودي تظنين انني النذل الأسوأ في العالم كله؟»

«فعلاً. من الممكن قول ذلك أيضاً، على ما أعتقد.»

«ماذا بخصوص عائلتك إذاً؟»

«ليس عندي أحد.» واختنق صوتها بأسى وانفعال وتابعت تقول بحزن: «ولا من أحد على الاطلاق.»

بدت الجدية على ملامحه فجأة: «حسناً، إذاً.»

سألته بحذر: «إذاً، ماذا؟»

«لدي سؤال أود أن أطرحه عليك، يا فيكتوريا. وأريدك أن تفكري جيداً قبل أن تجيبي عليه.»

«ما هو الشيء الذي تريد معرفته؟»

تنحنح وقال: «أتبقين هنا، في جزيرة لا بانتيرا؟»

مضت لحظات قليلة قبل أن تدرك وتفهم ما قاله: «ماذا؟»

«أردت أن أقول، ما رأيك لو تكونين مربية سوزانا من الآن فصاعداً؟» ولما لم تجب عن سؤاله، ابتسم لعينيها وقال: «الذي أحاول أن أقوله، هو انني أود جداً لو انك تبقين هنا معنا، يا فيكتوريا.»

www.elromancia.com

الفصل السابع

كان قد حل المساء، وكانت ستائر غرفة الحضانة مسدلة اتقاء من أشعة الشمس التي كانت ما زالت أشعتها ترسل خيوطاً واهية إلى الداخل. وكانت فيكتوريا جالسة على كرسي هزاز تحضن سوزانا وتقرأ لها قصة من قصص الأطفال.

«رفع الأمير اميرته بين ذراعيه ثم اجلسها على ظهر حصانه.»

قاطعتها سوزانا وقالت وعيناها مثقلتان بالنعاس: «وعاشا بعد ذلك حياة هانئة وسعيدة إلى الأبد.»

ابتسمت فيكتوريا وهي تقفل الكتاب، ثم وضعته على الطاولة. وقالت لها: «نعم. هذا ما حدث بعد ذلك، وعاشا سعيدين حتى آخر العمر.» وأخذت تمسد خصلات شعر الطفلة بلطف وحنان ثم همست قائلة: «لقد حان وقت النوم.»

تنهدت الطفلة وقد شعرت بالتعب والنعاس واحاطت عنق فيكتوريا قائلة لها: «أين دبدوبي الصغير تيدي؟»

«ان تيدي إلى جانبك، يا حبيبتي. استلقي الآن في سريرك، نعم هكذا، وها أنا سأغطيك.»

«غطي تيدي ايضاً.» تمتمت سوزانا وهي تلتمس الدفء تحت الغطاء ثم اغمضت عينيها الناعستين ولكنها سرعان ما عادت تفتحهما قائلة: «توريا؟»

«ماذا هناك، يا حبيبتي؟»

تنهدت الطفلة مرة اخرى واستدارت على جنبها وهي تقول: «لا تذهبي ارجوك.» همست بذلك ثم اغمضت عينيها وغرقت في نوم عميق بعد ثوانٍ قليلة.

أخذت فيكتوريا تنظر إليها للحظات قليلة وبعينين ملؤهما التعاسة والحزن، ثم قبلتها على جبينها واطفأت الضوء إلى جانب السرير.

خرجت على مهل من الغرفة، ولما اصبحت في الردهة، اتكأت إلى الحائط بإعياء واحست بجفاف شديد في حلقها. كم كانت غبية عندما وافقت على ما عرض عليها روركي، وكيف لم تستدرك الأمر في البداية. ومشت متنهدة إلى غرفتها واقفلت الباب من ورائها.

مشت فيكتوريا إلى نافذة غرفتها وفتحتها مفسحة المجال لنسيم الليل القليل ان يدخل إلى الغرفة.

ان لوجودها في منزل روركي حجة باطلة، وانها كاذبة ومخادعة، واحست بأنها ترتجف عندما جلست على كرسي إلى طاولة الزينة. نظرت إلى وجهها في المرآة وهي تقول في نفسها انها في الحقيقة ليست المرأة التي كان قد فكر فيها روركي.

لكنها اضطرت في الليلة الماضية ان تواجه الحقيقة وقد كانت مع روركي في غرفة المكتبة وكل منهما يطالع كتاباً، بينما كانت الموسيقى تصدح بصوت خافت من آلة للاسطوانات. فجأة، شعرت فيكتوريا بعدم الارتياح، وذلك عندما رفعت نظرها عن الكتاب الذي كان بين يديها لتجد روركي يحدق فيها.

قالت له بعد لحظة: «هل هناك شيء ما؟»

www.elromancia.com

ابتسم قليلاً وقال بلطف: «فيكتوريا.»

قالت بغباء: «ماذا هناك؟»

اجابها بلطف: «لا شيء. احب فقط أن الفظ اسمك، كم انه يناسبك هذا الاسم... هل قالها لك أحد ما؟»

«نعم. جدتي كانت تقول ذلك، وكنت اعتقد دائماً ان اسمي من الأسماء القديمة.»

ابتسم رووركي من جديد قائلاً: «ولهذا السبب يناسبك تماماً.» نظرت إليه بضعف ورأته يقف على مهل ويهم بالمسير نحوها. وكأرنب ضعيف يخاف من ان يفترسه أحد، نهضت بسرعة عن كرسيها وتبعثرت بعض المجلات على الأرض لارتباكها الشديد وهي تثرثر بأشياء تريد ان تقوم بها قبل ان تخلد إلى النوم وهرعت إلى غرفتها.

اصبحت في امان في غرفتها واسندت جسدها إلى الباب المقفل وكانت كلمة واحدة ترافق ضربات قلبها الشديدة.

كانت الكلمة التي ترددت مع كل خفقة من خفقات قلبها، كاذبة، كاذبة، كاذبة! وبينما كانت تحدق في نفسها في المرآة، كانت هذه الكلمة تزداد في رأسها، انها فعلاً كذلك، وما من شيء قد يغير ذلك. وتساءلت ما سوف يقول رووركي لو عرف بأنها دخلت حياته لتعثر على طفلتها التي وهبتها للغير بملء ارادتها، طفلة حرّم عليها ان تحمل اسم والدها وذلك سببه انها ولدت من زواج غير شرعي...

تنهدت فيكتوريا وتناولت فرشاة الشعر وأخذت تسرح شعرها الأجعد الذي تساقط دون تنسيق على وجهها.

توقفت فجأة حركات يدها المتتالية على شعرها،

وتذكرت ان أول ما قاله لها كريغ عندما وصف شعرها بأن له ذهن خاص به.

كان هذا ما جاء على لسان كريغ بالحرف الواحد: «تبدو هذه التجعدات الصغيرة في شعرك وكأنها لها ذهن خاص بها.» قال لها ذلك ببهجة في المطعم الذي كانت تعمل فيه نادلة وفي صباح ممطر عندما وقفت قريبة منه تنتظر ما قد يطلبه، وتابع يقول لها: «كما انني متأكد انه ليس شعراً مستعاراً اشتريته من مؤسسة تجميلية.»

كانت ملاحظته غير ضارة أو مؤذية. عندها ابتسمت له فيكتوريا وقالت بأنه ليس شعراً مستعاراً.

كان يثرثر معها بينما هي تدون طلباته، وفي تلك الليلة، عندما انتهت من دوام عملها، كان ينتظرها خارج المطعم.

سألها كريغ: «ما رأيك لو نتناول العشاء في أي مكان؟»

ولما رفضت عرضه هذا، عرض عليها ان يوصلها إلى بيتها. رفضت ايضاً طلبه الثاني، لكن في ذلك الوقت خلت الشوارع من المارة ومن سيارات الأجرة، وكان الطقس عاصفاً ومثلجاً، وعاد يسألها ماذا تريد، أتفضل ان تموت متجمدة من ذلك الصقيع، ام تفضل ان يوصلها بهدوء وسلام إلى منزلها، ضحكت عندئذ ووافقت على طلبه.

أخذ يتردد بعد ذلك كثيراً إلى المطعم، وأعجب رفيقاتها في العمل بأناقته ووسامته وبإسرافه بسخاء وحرية. لكن فيكتوريا لم تكن تكترث لأي من هذه الأشياء، بل كانت مأخوذة به من نواحٍ اخرى وهي: الاخلاص الواضح والظاهر، اللياقة والأدب، والأهم من كل ذلك، اهتمامه البالغ وتفانيه لكل خير وصالح لها.

www.elromancia.com

عادت فيكتوريا تمسك فرشاة الشعر وتسرح شعرها وهي تفكر بكل ما حدث لها مع كريغ. لم تكن علاقته معها علاقة مبتذلة وسيئة، كان يربت على كتفها بعطف في نهاية كل عمل شاق تقوم به، أو يدعوها لتناول العشاء في أي مكان هادىء يبعث السرور والبهجة إلى النفس. كانت ترتاح إلى معاملته لها بهذا النوع من الاحترام والشفقة، لأنها وفي كل سنوات عمرها التي مضت وهي اليوم قد بلغت التاسعة والعشرين من عمرها، لم يقلق عليها أحد أو اهتم بما يزعجها ويقلقها. كما انها لم تعرف والدها، ووالدتها كانت دائماً منشغلة تجمع وتطرح حتى لا تتخطى حدود دخلها، لذا كان كل هم فيكتوريا هو ان تفتش أو تدخل في أية مغامرة أو خبرة جديدة لتخرجها من كل معاناتها.

كانت لا تطلب من كريغ ان يدللها أو يشتري لها شيئاً، وذلك لأنها لم تكن بحاجة لشيء، فحاجتها فقط كانت للعطف والشعور النبيل نحوها، الشيئان اللذان تفتقر اليهما، وكان كريغ قد ادرك أين تكمن نقطة الضعف فيها. وبغبائها الشديد، كانت ممتنة له وبشكل يبعث الشفقة، لكل كلمة يقولها لها تطيب خاطرها. وأخذت تلجأ إليه أكثر عندما بدأت تسوء صحة والدتها يوماً بعد يوم.

أخذت فيكتوريا تستعيد تلك الذكريات في رأسها. انها فعلاً في غاية الغباء! كان عليها ان تنتبه أكثر عندما بدأت مؤاساته لها وملاطفاته قد أصبحت أكثر جرأة، لكنها لم تنتبه لهذه الأمور الجديدة والتي لم تلقها منه ابداً، إلى ان شعرت ولاحظت ذلك عندما دفع بها إلى داخل سيارته في تلك الليلة المشؤومة التي مرت عليها.

«دعيني اخلصك من الهموم التي تقلقك يا عزيزتي.» قال لها بلطف، فكان لصدى كلماته اللطيفة نذير شؤم عليها.

أخذت تتوسل إليه ان يدعها وشأنها ويبتعد عنها، وانتابها الرعب الشديد، وحاولت التخلص منه بأية وسيلة كانت، لكن كريغ نال مطلبه في النهاية.

كانت دهشته صادقة وخالية من الكذب والرياء، عندما رفضت ان تقابله بعد ما حصل بينهما في تلك الليلة، ولكنه تغلب على دهشته تلك بسرعة وفي أقل من شهر واحد، أخذت الصحف المحلية تتحدث عن زواجه القادم بفتاة من شيكاغو، ومما جاء في الصحف، انهما كانا خطيبين من مدة ولعدة اشهر مضت والذي استطاعت ان تفهمه من بين السطور، ان الفتاة تفوقه غنى وثراء.

أخذت فيكتوريا ترتجف وهي تضع فرشاة الشعر جانباً وقد وصلت بتفكيرها المؤلم إلى هذا الحد. وتذكرت ما حصل بعد ذلك، لقد تلقت صدمة عنيفة عندما اكتشفت بأنها حامل، وكيف كانت في ذلك مشلولة الإرادة لا تدري ما يمكن ان تفعله في حالة كهذه، وهي تعرف حق المعرفة بأن والدتها إن علمت بالأمر لن يكتب لها ان تعيش، وان ابنتها الوحيدة قد وقعت في الخطيئة.

كان الدكتور رونالد قد قدم لها الحل، وهو ان تتخلى عن الطفل. ولم يكن هناك حل أفضل من ذلك.

طمأنها الدكتور رونالد: «لا، تقلقي سأتكفل بكل شيء.»

تكفل الدكتور رونالد كما وعدها بكل شيء، ولم تظهر عليها بوادر الحمل ابداً ذلك لأنها كانت ترتدي ملابس فضفاضة وواسعة أكثر من المعتاد، ولحسن حظها كانت

الفساتين الواسعة موضة تلك السنة. اشرف الدكتور رونالد على كافة التحضيرات اللازمة لها في المستشفى في شيكاغو، وانجبت طفلتها في الساعة السابعة والنصف مساءً، وفي اليوم السادس عشر من كانون الثاني (يناير) نقلها بعد ثلاثة أيام من الولادة إلى بيتها في برودول بعدما تماثلت إلى الشفاء، ودخلت معه إلى غرفة والدتها التي كانت مستلقية على سريرها متعبة، وأخذت فيكتوريا تجيب على اسئلة والدتها القلقة وعن اصابتها بالانفلونزا الشديدة التي اضطرتها ان تتعالج في المستشفى والدكتور رونالد يبتسم للوالدة وكأنه يؤكد ويطمئنها بأن ابنتها بألف خير.

قال الدكتور لها مرة في عيادته: «لقد قمت بالخيار الصحيح والانسب لك، يا فيكتوريا.»

اغرورقت عيناها بالدموع وهي تتذكر كل ذلك. نعم، لقد قامت بالخيار المناسب، تعرف ذلك حق المعرفة، لكن ما من أحد يشعر كم تتوجع الأم ويحن قلبها لطفلتها التي لم ترها عيناها مرة واحدة. كانت في كل مرة تنظر فيها إلى وجه سوزانا العذب، تشعر بالألم يقوى ويزداد على قلبها. وتتساءل فيكتوريا احياناً، كيف استطاعت الكساندرا كامبل ان تدير وجهها عن ابنتها وتذهب بعيداً؟ وهي التي منحها القدر كل شيء تحلم به وتتمناه أية فتاة في العالم، طفلة من لحمها ودمها لتحبها وترعاها، وروركي، روركي الذي كان يقدم كل ما تريده المرأة وترغبه.

نادى روركي عليها وهو يطرق الباب بلطف:

«توريا، هل أنت في الداخل؟»

تنفست بعمق ثم وقفت قائلة: «نعم، لحظة من فضلك.»

رسمت ابتسامة على ثغرها ومشت نحو الباب وفتحته. لكن ابتسامتها المصطنعة لم تستطع ان تخدعه، فهمت ذلك من تقطيب وجهه عندما وقع نظره عليها.

«يبدو وكأنك اشتقت إلى سوزانا.»

قالت باشراق: «لم اكن اعلم بأنك قد تعود باكراً هذه الليلة، ليتك اتصلت هاتفياً لكنت ابقيت سوزانا ساهرة لبعض الوقت.»

«جئت لأراك انت. اظن بأنه علينا ان نتكلم مع بعضنا البعض.»

«نعم، انك على حق، من الضرورة ان نتكلم.»

طأطأ روركي برأسه واقفل الباب وراءه: «حسناً، انني مسرور لموافقتك على ذلك.»

«في الحقيقة... في الحقيقة، اردت ان اكلمك بعد عشاء هذه الليلة.» وخطت بضع خطوات بعيدة عنه: «روركي، لقد فكرت انني لن استطيع البقاء أكثر من ذلك.»

«نعم. عرفت بأنه سيحصل شيء كهذا.»

«اتمنى لو انني استطيع ان اوضح سبب مغادرتي.»

ضحك بخشونة وقال: «وماذا هناك من اسباب لتشرحينها؟» مشى إلى جانبها متوجهاً إلى النافذة: «انك غير سعيدة لاقامتك معنا، ولقد لمست ذلك منذ بضعة أيام.»

«لا، ليس كما تعتقد.»

استدار روركي نحوها بسرعة، وقال: «لا تكذبي عليّ، يستطيع حتى الغبي ان يدرك بأنك غير سعيدة.»

قالت فيكتوريا في نفسها، ليفكر بما يريد ان يفكر به،

www.elromancia.com

ولا شيء يشغل البال الآن طالما انها ستغادر الجزيرة. عادت تنظر في عينيه مرة اخرى، وادركت انه من الصعب ان تتصرف معه بهذه الطريقة. ولقد كذبت عليه في امور عدة، فلا يجوز عليها ان تكذب عليه في هذا الأمر ايضاً.

«الأمر لا يتعلق بخصوص وجودي هنا.»

«هل الأمر يتعلق بسوزي؟»

«بسوزي؟ لا، واؤكد لك ذلك، فأنا احب سوزي.»

«ام انك مللت من اقامتك في هذه الجزيرة. أعرف بأنه لا يوجد شيء لتقومي به، خاصة في الليل.»

ابتسمت له قائلة: «هل تتذمر لأنني غلبتك ثلاث مرات في لعبة السكرابل في تلك الامسيات الماضية؟»

«بل مرتين.» وابتسم، لكنه تراجع عن ابتسامته وعقد حاجبيه بغضب مجدداً: «إذا كنت تحبين، سأرافقك في الطائرة إلى سان جوان لتمضي بعض الأوقات الطيبة، أو ربما إلى بونس.»

«لا، اعني شكراً لك، هذا لطف منك، كما انه لا فرق عندي إن لم أعد إلى المدينة بعد الآن. ان كنت أبدو تعيسة، فذلك ليس من أجل اقامتي في الجزيرة، أو من سوزي.»

«أو مني أيضاً؟»

نظرت إلى عينيه، ورأته ينظر إليها بحب وشوق. وفكرت في ان تكذب عليه مرة أخرى، وتقول له أي شيء. يجب...

قطع عليها افكارها قائلاً: «هل أنا السبب، يا توريا؟ هل وجودك معي يجعل عينيك شاحبيتن هكذا وحزينتين؟»

«آه، لا، الأمر لا يتعلق بك ابداً، يا رورکي.»

نظر إليها طويلاً سألها: «ما الأمر اذاً؟»

«اريد فقط... ان اغادر الجزيرة ليس إلا، ولكنني سأبقى اكراماً إلى ان تجد أحداً...»

«الذي تحتاجينه فعلاً، هو سهرة خارج البيت.»

نظرت فيكتوريا إليه متعجبة، فبعد كل ذلك، يتقدم باقتراح بسيط يصعب عليها تصديقه. «سهرة في الخارج؟ تعني، في سان جوان؟ ولكنني سبق وقلت لك...»

«يقام احتفال هذه الليلة تحت ضوء القمر.»

اتسعت عيناها قائلة: «احتفال؟»

«أمامك نصف ساعة من الوقت لتتحضري.»

«لا، اقصد، لن استطيع، لأنني ذاهبة...»

«لا، لن تذهبي إلى أي مكان.»

«لكن...»

قال بلطف: «ها أنتِ عازمة حقاً ان تتركيني؟»

«يجب علي ذلك.»

«اجيبي عن سؤالي، اذا ما زلت مصممة على ان تتركيني الآن، فسوف انقلك فوراً بطائرة مروحية.»

ارادت ذلك، ولكن كيف تستطيع ان تتفوه بأي شيء بينما هو ينظر إليها على هذا النحو؟

قال وهو يخرج من الغرفة: «لا اظن بأنك توافقين على ذلك.»

كان للقمر مسحة زهرية اللون عندما سطع نوره على البحر الذي ظهر اسود اللون في الظلمة، وكان لهب النار البرتقالي يتأجج في هذه الظلمة ايضاً وهو يعكس ظلالا مخيفة لرجال ونساء تحلقوا حولها على السهل الرملي الواسع.

www.elromancia.com

ارتبكت فيكتوريا قليلاً وقالت: «لماذا يتحلقون هكذا؟»

«لأنهم يريدون أن يضمنوا على ما قد يأتي في المستقبل ويغيروا ما كانوا عليه في الماضي، ومن هو الذي يرغب بأقل من ذلك؟»

تنفست فيكتوريا بعمق وقالت بصوت منخفض: «لا، لا أحد يرغب بأقل من ذلك. لكن الأمر ليس على هذه الصورة من العالم الحقيقي، فلا يمكنك ان تبطل مفعول ما كان وما حدث أو ان تعرف ما قد يحصل لك في المستقبل.»

«عليك دائماً ان تبعدي الماضي عن تفكيرك.»

«هذا ليس صحيحاً. ما تم، قد تم، ويبقى جزءاً لا يتجزأ من حياتك.»

«يمكنك عندها ان تعقدي سلاماً مع من كان.»

نظرت فيكتوريا في وجهه: «ايمكنك ذلك؟»

«نعم، وذلك عندما تجدين الطريقة الصحيحة.»

هل كان يتكلم عن زواجه الفاشل؟ تساءلت فجأة. ارادت ان تسأله، لكي تعرف نهائياً إذا كان ما يزال يهتم بزوجته السابقة، لكن ليس لها الحق في طرح هكذا سؤال حول ماضيه بينما هي لا تملك الجرأة لتتكلم عن ماضيها.

«توريا؟ هل تشعرين بالبرد؟»

هزت برأسها نافية ذلك وقالت بهمس: «لا، كنت فقط... كنت اتساءل فيما لو هؤلاء الناس الذين يتحلقون هكذا، يطلبون الشيء الكثير.»

ابتسم روركي قائلاً: «يطلبون فعل الأعمال الصالحة.» مع ذلك، هذا سبب قيام احتفال في هذه الليلة، يا توريا. انها ليلة لطلب عمل الخير للجميع.»

مال نحوها وعينيه في عينيها وهمس: «توريا.» وعاد يهمس مرة ثانية باسمها.

طرأ بسرعة على رأسها وبشكل وجيز، تلك الليلة المشؤومة مع كريغ، واحست بتوتر شديد. لكن روركي وكأنه شعر ما تعاني منه، أخذ يمسح على شعرها بحنان ورقة.

شعرت فجأة ان الذي قد يحصل الآن غير ممكن، وعليها ان تترك هذا المكان. ابتعدت عنه قائلة: «لا.»

«توريا، ماذا هناك؟»

مالت برأسها جانباً، وتمنت أن تزداد الظلمة حتى لا يتمكن من رؤية عينيها اللتين اغرورقتا بالدموع.

قالت بهمس متقطع: «لا استطيع ان اقوم بذلك.»

سمعته يتنهد طويلاً، وبعدها خيم عليهما صمت عميق وطويل. قطع الصمت بعد ذلك ليقول: «اعذريني، ربما المكان والوقت غير مناسبين.»

طأطأت فيكتوريا برأسها قائلة: «نعم، انه فعلاً كذلك.»

كان من الأسهل عليها أن تقول له ذلك عن ان تقول له الحقيقة الجارحة، فكرت بذلك، بينما سارا بتمهل إلى المنزل.

www.elromancia.com

الفصل الثامن

كانت مغرمة به، ولكنها كيف لم تشعر بذلك مثلما شعرت الليلة؟ اندست فيكتوريا في فراشها وأخذت تراجع وتقلب الأحداث في جميع نواحيها بينما كانت ساعات الليل تمر عليها بهمس لطيف، تحاول أن تفهم ما قد حدث، وتعود بذاكرتها إلى الوراء لتلتقط اللحظات والدقائق التي مرت بها منذ البداية.

آه كم أحبك يا رووركي، وتذكرت كم حاولت جهدها لتمنع دموعها من أن تنهمر من عينيها، لكنها عادت وانهمرت بحرقة على خديها. أدركت الآن وأكثر من ذي قبل انه يجب عليها أن تغادر هذه الجزيرة. وقدومها كان خطأ من أساسه، وبقاؤها سيكون أسوأ، فعليها إذن أن تضع حداً لذلك الآن.

تعالى تغريد عصفور الليل في الحديقة، كان صوته ينم عن وحدة وضجر مثلما كانت تشعر به في قلبها. وتقلبت في فراشها ورأت أن هناك طريقة واحدة تتيح لها الخروج والابتعاد عن هذا المكان، وعليها أن تنفذ ذلك بسرعة وبطريقة نظيفة، ومن دون أن يعرف رووركي. فمهما ظنّ بها واتهمها، إذا علم بأنها غادرت دون القاء التحية عليه، سيكون أقل عتباً واشمئزازاً فيما لو علم حقيقة أمرها.

تعلم ان رووركي يخرج إلى مكتبه يومياً في تمام الساعة الثامنة، فالذي عليها أن تقوم به في هذه الحالة ان تنتظر

في غرفتها إلى ان تتأكد تماماً بأنه غادر المنزل، ثم ترتب حقيبتها وتنزل بها إلى الطابق الأسفل. وإذا ساعدها أحدهم، كطيار رووركي، مثلاً أو أحد صيادي السمك المحليين، فهذا سيكون من حسن حظها. وإذا لم يقدم إليها أحد هذه الخدمة، فهناك سفن للأجرة، فقد تأتيها وتنقلها وتدفع ما بلغت تكاليف هذه الرحلة.

سمعت هدير الطائرة المروحية تحلق فوق المكان، حوالي الساعة الثامنة فأكدت أن رووركي قد ذهب إلى عمله. نهضت من فراشها بسرعة وارتدت ملابس السفر من اللينين الأبيض، ثم وضعت ملابسها في الحقيبة. أما الشيء الأصعب لتعمله ما بعد ذلك كان عليها أن تودع كونستانسيا، والطفلة سوزي. انها لم تفكر بهذا الأمر، ولكنه شيء لا بد من تنفيذه. كانت احدى الخادمات قد ساعدت سوزانا في النهوض من الفراش، وهي الآن تتناول فطورها في المطبخ مع كونستانسيا. ابتسمت سوزانا ومدت ذراعيها لتعانق فيكتوريا التي دخلت عليهما.

غنّت لها بسعادة: «صباح الخير، توريا.»

تمنت فيكتوريا ومن صميم قلبها لو انها تحمل الطفلة وتحتضنها بين ذراعيها، ولكنها لم تجرؤ على ذلك، مخافة أن تعدل عن رأيها.

«صباح الخير، سينيوريتا، انه يوم مشرق...» وتوقفت كونستانسيا عن الكلام وأخذت تمايز فيكتوريا بنظراتها، ورأتها تنتعل حذاء خفيفاً مع جوارب قطنية، وثوب سفر حريري، ثم عادت تنظر إلى وجهها بعينين ضيقتين: «هل أنت ذاهبة إلى مكان ما؟»

«نعم.» قالت فيكتوريا بثبات. «انني فعلاً ذاهبة، يا كونستانسيا...» وفجأة ونتيجة لخوفها الشديد، أخذ صوتها يرتجف ثم تكسر على شفتيها. أخذت تحدق بكونستانسيا، ثم استدارت بسرعة مبتعدة وهي تقول بهمس: «أرجوك، هل تسمحين فقط وتتأكدي بأن تنهي سوزانا طعام فطورها؟»

«سينيوريتا، ماذا هناك؟»

«لا شيء، انني فقط... سأعود بعد دقائق قليلة، يا كونستانسيا.»

«بور مافور، سينيوريتا هاميلتون...»

لوّحت فيكتوريا بيدها وأسرعت خارجة تاركة المرأة وقد أصابتها الدهشة والذهول.

قالت فيكتوريا: «انني بخير. ولكنني فقط... فقط بحاجة إلى دقيقة...»

تعثرت بخطواتها وهي تجتاز القاعة إلى غرفة المكتبة، والدموع تنهمر بغزارة على خديها. فقد تنبهت إلى شيء مهم يجب أن تقوم به الآن، وقبل أن تفقد شجاعتها وقواها.

مسحت دموعها براحة يدها ورفعت سماعة الهاتف وأخذت تدير أرقام الاستعلامات، وانتظرت بنفاد صبر حتى أجاب أحد موظفي الاستعلامات.

قالت أخيراً: «نعم.» وهي تسمع صوت العامل المجهول يرد عليها بأدب، ثم تابعت: «نعم، أرجوك أود الحصول على رقم هاتف لشركة النقل بواسطة طائرة مروحية... لا، ليس عندي اسم شركة معينة، أريد فقط أن يتمكن أحدهم من أن ينقلني من جزيرة لا بانتيرا إلى...»

«اقفلي الخط، يا فيكتوريا.»

استدارت بسرعة وبهلع واضطراب، ورأت روركي يقف عند باب غرفة المكتبة يراقبها.

«هل سمعتني؟ قلت لك اقفلي الخط.»

سمعت صوت عامل الاستعلامات يناديها بينما كانت تقفل الخط مذعنة لأوامر روركي. شعرت بقلبها يهوي من مكانه وقد رأته على تلك الحالة من الغضب الشديد! انها ليست الطريقة الصحيحة لوصفه، لقد سبق ورأته غاضباً في ذلك اليوم الذي اقتحمت فيه مبنى شركة كامبل، ورأته غاضباً أيضاً بعد الظهر وفي اليوم الذي حصل فيه الحادث والذي أدى إلى تحطيم سيارته، ولكنه لم يبد عليه في المرتين السابقتين مثل هذه المرة وبمثل هذا الغضب الشديد. كان وجهه حالكاً مكفهراً ومتوعداً، وعيناه متحجرتان، ينقلهما من رأسها إلى أخمص قدميها.

«انه ثوب أنيق هذا الذي ترتدينه.» وابتسم ببرودة وتابع: «وطبعاً، انه ليس من النوع الذي ترتدينه عادة عندما تأخذين سوزانا لتستحمان في البحر؟»

بلعت فيكتوريا بريقها وقالت: «ماذا تفعل هنا، يا روركي؟»

«انه سؤال جيد لطرحه، ولكن من الأجدر أن أسألك أنا أولاً، ماذا تفعلين أنت هنا، يا فيكتوريا؟»

«كنت... كنت...»

ضحك قائلاً: «لقد كنت واضحة جداً عندما كنت تتكلمين مع عامل الاستعلامات، وكنت تطلبين منه رقم شركة ما لتنقلك جواً بواسطة طائرة مروحية، أليس هذا صحيحاً؟»

www.elromancia.com

عادت تبلع ثانية بريقها. «روركي...»

«كيف خططت لكل ذلك بدقة، وقمت بوداع لطيف ليلة البارحة على الشاطىء...»

«هذا ليس بصحيح!»

قال مكملاً وهو يتجاهل ما قالته: «والحقت ذلك بالهرب السريع هذا الصباح. كم ستكون مفاجأة مرضية بالنسبة لي، عند عودتي هذا المساء.»

اغرورقت عيناها بالدموع وقالت: «ليس الأمر كما تظن، كنت أريد أن أعلمك بذلك... وحاولت ان افعل حقاً.»

«هل فكرت بأن تتركي لي رسالة، يا فيكتوريا؟» والتوت قسمات وجهه عندما أمسكها بكتفيها. «أو هل كان الأمر صعباً في طرحه علي؟ هكذا وببساطة أردت قطع هذه العلاقة والهروب سراً...»

«روركي، أرجوك...»

«وحتى من دون مصافحة باليد حتى؟»

«أردت فقط أن أهوّن الأمر على كلينا. وعندما سمعت صوت محرك الطائرة تحلق في الجو، فكرت...» وحولت نظراتها إلى الأرض وتابعت قائلة: «لقد قلت لك ليلة البارحة... انني لا أستطيع أن أبقى أكثر من ذلك، ولكنك لم تصغ إلي.»

قال بنبرة اجبرتها على النظر اليه. «انك على حق، فأنا لم أصغ اليك بالفعل.»

«عندها فكرت ان أغادر سراً دون أية مناقشة أخرى.»

قال مبتسماً لها بثبات: «وماذا بشأن ليلة البارحة؟ هل كنت تتظاهرين بالاذعان لي، عندما حاولت اقناعك بالبقاء؟»

أغمضت فيكتوريا عينيها وقالت: «لا تقل ذلك، أرجوك.»

قال بالحاح: «أجيبيني.»

«ما من حق يسمح لك بأن...»

همس: «توريا.» نظر اليها مبتسماً وكأنه يتوسل إليها ثم قال: «انك لن تذهبي إلى أي مكان.»

قالت بهدوء بعد ان تمالكت أعصابها: «لم يتغير شيء، يا روركي، انني مصرة على الذهاب.»

«لا، لن أسمح لك بذلك، والذي يجب عليك أن تفعليه الآن، هو أن تذهبي إلى غرفتك وتبدلي ثياب السفر هذه.»

«هذا فقط، تأمر به لأنك...»

«سنبحر بالمركب الآن.» ونظر إلى ساعة يده قائلاً: «سأعطيك خمس دقائق فقط لتبدلي ملابسك، إلا إذا كنت تفضلين أن تقضي نهارك على البحر وأنت بهذه الملابس.»

حدقت به قائلة: «انك لم تسمع كلمة واحدة من الذي قلته لك، أليس كذلك؟»

«سمعت كل كلمة. وثبت لدي بأنها تخلو من أي معنى.»

شعرت فيكتوريا بغضب سريع يلفها. «قد تكون استعملت هذه الألفاظ مع زوجتك السابقة يا روركي، أما معي...»

«لا تتفوهي بأشياء لا تعرفينها من فضلك.»

«لقد عرفت كل شيء، وقد أخبرتني كونستانسيا بأنه ما يزال هناك خلافات قائمة بينكما، وإذا كنت تناقش زوجتك بهذه الطريقة...»

«أمامك دقيقتان من الوقت. وإلا ستركبين المركب بالذي ترتدينه.»

«ما بك، يا روركي، هل أصبت بالصمم؟ انني أريد

www.liaromancia.com

مغادرة هذه الجزيرة حالاً وسأغادر في هذه الساعة.»

«حقاً؟ وكيف ستعتزمين على القيام بذلك؟»

«ان بإمكاني في ان أستقل...»

ضحك قائلاً: «طائرة مروحية؟ يتم ذلك في حالة واحدة فقط، إذ كان لديك ثلاثمائة دولار.»

«استقل مركباً إذاً، من المؤكد انني سأعثر على مركب.»

«ممكن ذلك، ولكن لا أعلم إن كنت ستعثرين على أحد يقطع كل هذه المسافة إلى الجزيرة لنقلك.»

صرّت فيكتوريا بأسنانها وقالت: «سأجد طريقة أخرى.»

«ليس هناك من طريقة أخرى، فلا تكلفي نفسك.» ثم رفع حاجبيه وكأنه قد قرأ كل ما كان يدور في رأسها. «إذا كنت تظنين بأنك ستطلبين من احد في جزيرة لا بانتيرا أن ينقلك إلى سان جوان، أو ربما إلى بونس، فما عليك سوى أن تنسي ذلك وتنزعيه من ذاكرتك. فلن تجدي شخصاً واحداً يقدم على ذلك إلا بأذن مني.»

قالت له بثبات: «لديك ثقة كبيرة بنفسك.»

ضحك قائلاً: «انني فعلاً كذلك.»

قالت بلطف: «هذا كل ما في الأمر إذاً؟ أنت ترى نفسك امبراطوراً عظيماً له هيبته وسطوته، وأنا أمامك عبدة متهورة وطائشة تحاول أن تتحداك وتعصي أوامرك.»

طوى روركي ذراعيه فوق صدره وقال: «اعتقدي ما تشائين، ولكن ضعي في رأسك بأنك لن تغادري هذه الجزيرة إلا بإذن مني.»

هزّت رأسها بتحد وقالت: «الوداع، يا روركي.»

«فيكتوريا.»

رفعت رأسها باصرار وعزم، ومشت إلى الباب.

«فيكتوريا!» هدر بصوته من ورائها، وأخذ قلبها يدق بشدة. وقالت في نفسها انه مخدوع بنفسه كثيراً وإلا لما كان يوقفها كلما حاولت أن تخرج. لكن وعلى أية حال، ما الذي يستطيع أن يفعله لكي يوقفها؟

كانت قد وصلت إلى الباب، عندما شعرت بيدي روركي تضغطان على كتفيها وصرخت بألم وهو يديرها نحوه بقوة. استطاعت بلمحة سريعة أن ترى وجهه القاسي والمتجهم غضباً، وذلك قبل أن يمسك يدها ويخطو بها خطوات واسعة ويخرج بها إلى الفناء الخارجي.

«روركي، هل جننت؟» وأخذت فيكتوريا تضرب ذراعيه، لكن محاولاتها هذه باءت بالفشل، وبقي يمشي بثبات وعناد في الحديقة حتى وصل إلى الطريق الخاص، حيث أوقف سيارة الجيب في ظل شجرة النخيل. أدخلها إلى سيارة الجيب من دون أي كياسة منه أو لياقة، ثم أغلق الباب وأسرع يجلس خلف المقود.

قال لها وهو يدير المحرك: «شدي حزام الأمان حول خصرك.»

«لقد قمت بمحاولات مثل هذه قبل الآن، أتذكر؟ هذه الأمور لا تؤثر بمشاعري أبداً.»

«انني لا أقوم بأفعال كي يتأثر بها الآخرون، يا فيكتوريا.» ومدّ يده وأقفل حزام الأمان بنفسه. «أعتقد بأنك أصبحت تعرفينني حق المعرفة لغاية الآن.»

انطلقت سيارة الجيب، ولفت عجلات السيارة بسرعة هائلة على الطريق المرصوصة بالحصى.

www.liilas.com

«لماذا تقوم بهذه الحركات؟»

ضغط على الفرامل بقوة وصدر عن ذلك صوت قوي مزعج، وبسط يديه على المقود وأخذ يحدق أمامه. فكرت فيكتوريا بأنه يحاول أن يحافظ على هدوء أعصابه، لكن الذي حدث بعد ذلك كان مثيراً للدهشة والعجب.

أخذ روركي نفساً عميقاً والتفت نحوها قائلاً: «أعتقد بأنه كان يجب علي أن أقول لك ذلك في البداية، انني أقوم بكل ذلك، لأنني لا أريدك أن تغادري الجزيرة.»

«على كل حال، هذه الأشياء ليست جديدة علي.»

ابتسم لها ابتسامة سريعة وغريبة، ثم قال: «ذلك لأنني أحببتك.» صعقت فيكتوريا لأنها لم تكن متأكدة من هذه الكلمات، لقد سمعتها فعلاً. ثم تحول عنها وعاد ينطلق بسيارة الجيب نزولاً في طريق تؤدي إلى المرفأ.

قاد سيارة الجيب من دون أن يتكلم معها، إلى ان أصبحا على متن المركب ثم توجها يمخران عباب اليم.

عادت تفكر بصورة واضحة، عندما ابتعد بهما المركب كثيراً عن الشاطىء. فاعتراف روركي بحبه لها لن يغير شيئاً، فهي ما زالت مصرة على الرحيل، وان صحّ التعبير، بالحاح أكثر من قبل.

«توريا؟»

نظرت اليه، ورأته يراقبها من وراء مقود المركب وكان يضع على عينيه نظارتين سوداوين.

«هناك بعض الملابس الخفيفة والمريحة في الخزانة في أسفل المركب. أعلم انه ولا بذلة منها قد تناسب قياسك، ولكن وعلى ما أعتقد انها ستريحك أكثر من هذا الذي ترتدينه.»

قالت بعد لحظة: «أعتقد بأنه علينا أن نعود.»

«سنعود، ولكن ليس قبل أن نتكلم مع بعضنا البعض.»

«روركي...»

«وهذا الذي دعاني إلى المجيء بك إلى هنا، فالمكان هادىء وكذلك لن يقطع علينا حديثنا أحد ما.» وأشار بيده إلى شيء في الأفق. «هناك جزيرة صغيرة أمامنا، القليل من الناس يعرفونها ويزورونها. هيا اذهبي واستبدلي ملابسك بملابس أكثر ارتياحاً، وسنصل في الوقت الذي ستنتهين به من عملك هذا.»

حاولت أن تفتح فمها معترضة على ذلك، لكنها عدلت ورأت انه لا جدوى في ذلك. تنفست فيكتوريا بألم ونزلت إلى الغرفة السفلى من المركب.

ارتدت أفضل ما يمكن ارتداؤه من الملابس التي وجدتها في الخزانة، ولكنها شعرت بغباء شديد عندما صعدت إلى سطح المركب، فالسروال كان واسعاً، وأصغر قميص قطني وجدته وصل إلى ركبتيها. لكنها لم تكترث لأمر الحذاء، فقد مشت حافية القدمين.

توقفت قليلاً لترى بأن المركب قد رسى في خليج صغير يحيط به شاطىء صخري وأشجار نخيل خضراء متطرفة الأغصان. ابتسم روركي عندما وقعت عيناه عليها، وضحكت من نفسها وهي تغرس أصابع يدها في رأسها وتبعد خصلات شعرها عن وجهها.

قالت له مبتسمة: «كنت على حق عندما قلت ان هذه الملابس مريحة أكثر من تلك. مع انني أعتقد انها لن تربح جائزة موديل الأزياء لهذا العام.»

«تبدين في غاية اللطف، وكأنك ارتديتها خصيصاً لدلفين الجزيرة.»

لاحظت انه كان قد بدّل ثيابه أيضاً، فقد لبس سروالاً قديماً وبالٍ مثل الذي ترتديه تماماً.

«ما بك، توريا؟»

قالت بثبات: «لا شيء، انما أفضل لو انك تعيدني إلى الشاطىء.» وأبعدت نظراتها عنه.

تقدم منها ببطء ووقف أمامها تماماً.

«توريا.» واستدارت نحوه على مضض.

«لماذا لم تسأليني مرة واحدة عن كل ما يتعلق بالكسندرا؟»

بلعت بريقها الجاف وقالت: «عن من؟»

قال وهو يلوي بفمه: «عن زوجتي السابقة، لقد سألت كونستانسيا عنها، ولكنك لم تسأليني أنا.»

«شعرت... شعرت ان ذلك ليس من شأني.»

«ومع ذلك تظنين بأنك تعرفين كل شيء عنها وعن علاقتنا ببعضنا.»

«لا يجوز لي في أن أتدخل بذلك. أقصد، انني أفهم كيف ان الأمور العاطفية قد تفرض على شخصين.»

«أتدركين ذلك فعلاً؟ انه أمر مضحك، وأنا الذي كنت أعتقد بأنك لا تدركين شيئاً عن العاطفة.»

«انني لا أعرف فعلاً. أقصد، انني لم أشعر مرة... انني لم أرد مرة... انك لا تعرف الكثير عني.»

قال: «أريد أن أعرف كل شيء عنك.»

«روركي.» وأحست بقلبها يرتعش لكنها لم تدر ان كان

ذلك من السعادة أو من أي شيء آخر. «روركي، أرجوك لقد تأثرت من الذي قلته، لكن...»

ضحك بخشونة وقال: «لا أريد أن أسمع منك هذا. أريد أن أسمع منك بأنك تحبينني وتبادليني حبي هذا.»

«لقد قلت... لقد قلت بأنك تريد أن تتكلم معي فقط.»

«ألا ترين انني أتكلم معك.» وهمس في اذنها: «اصغي فقط لتسمعي كل كلمة أقولها.»

«روركي.»

سألها فرحاً: «هل تحبينني، يا توريا؟»

فكرت ان تكذب عليه، لكنها كيف تقوى على ذلك، عندما كان قلبها وعقلها يهتفان وينطقان باسمه؟

رفع رأسها ونظر بعمق في عينيها. «هيا، قولي لي.»

انطلقت الكلمات أخيراً من فمها: «انني أحبك... انني أحبك، يا روركي.»

«توريا.»

عادت ذكرى كريغ وذكرى تلك الليلة المشؤومة إلى مخيلتها.

«ماذا هناك، يا توريا؟»

هزت رأسها بعصبية متسائلة كيف يمكنها أن تقول له ذلك، وفي تلك اللحظة الرهيبة، لم تكن ترى صورة وجهه فقط، بل رأت فيه صورة كريغ وتملكها الخوف الشديد.

أدرك روركي بغريزته ما تعاني منه فيكتوريا، وأخذ ينظر اليها نظرات ثابتة.

«ألهذا السبب، أغمي عليك في المصعد في ذلك اليوم؟ من يكون ذلك النذل الذي سبب لك هذه الآلام؟ سوف أقتله! سوف أنال منه و...»

www.elromancia.com

«أرجوك. من أجل مصلحتنا معاً، أرجعني إلى سان جوان ومن هناك أطير عائدة إلى الولايات المتحدة.»

«يجب أن لا تخافي مني، ألا تعلمين ذلك؟ أنا لا يمكن أن أؤذيك.»

«ان المشكلة ليست كذلك، يا روركي، فهناك... فهناك الكثير من الأمور التي تجهلها عني.»

قال بلطف: «أريد أن أعرف كل شيء عنك، يا توريا.»

أعادها تصريحه إلى واقعها الأليم، وأخذت ترتعد مرتجفة وهو ينظر اليها بعينين قلقتين.

«توريا، ماذا هناك؟»

قالت وعيناها تترقرقان بالدموع: «لا شيء.»

«حبيبتي، قولي لي، أرجوك، ماذا هناك؟»

تنهدت بعمق وهزت رأسها بعصبية.

أمسك روركي بوجهها الكئيب. «هل سببت لك أي ألم؟»

«لا، آه لا، انك لم تفعل ذلك.» ثم ابتسمت وحاولت أن تخفي الدموع التي أطلت من عينيها. «انك انسان رائع.»

ابتسم وقال: «هذا ما يتمنى أن يسمعه كل رجل.»

تلاشت ابتسامتها وقالت متلعثمة: «انني فقط... لم أتغير، أترى، انني ما زلت فيكتوريا...» وتوقفت عن الكلام وقد تملكها رعب شديد. كادت أن تقول له اسمها بالكامل، فيكتوريا ونترز، ولكن من المستحيل أن تفعل ذلك، لأن اسم العائلة الذي تعرف عليها به، كان كذبة أيضاً.

«انك عنصر طيب يا فيكتوريا، فالرجل لا يقدر أن يعي فجأة ان المرأة التي يحبها قد تغيرت إلى مخلوق آخر فجأة. ولكن مهما يكن، سأظل أحبك وإلى الأبد.»

أغمضت فيكتوريا عينيها وهمست: «روركي...»

«والآن، ما هي تلك الأسرار الدفينة التي لا أعرفها عنك؟»

«هل هناك مذكرة توقيف في حقك؟»

فتحت عينيها بدهشة وعاد يضحك من جديد. «هل أنت قاتلة؟ أو سارقة مصارف؟» وداعب أنفها بدلال. «ام هل الشرطة تلاحقك لأجل كتب لم يدفع ثمنها حتى الآن؟»

ابتسمت بالرغم مما كانت تشعر به. «هل سمعت مرة أحد يصفك بالجنون؟»

تلاشت ابتسامته وقال: «الشيء الوحيد الذي أريد أن أسمعه منك مراراً وتكراراً، هو انك تحبينني.»

ابتسمت فيكتوريا وقالت: «تعلم جيداً انني كذلك.»

همس روركي: «هذا كل ما أريد أن أسمعه منك. والأشياء الأخرى، لا قيمة لها ولا معنى، وتذكري ما قلته لك ليلة البارحة، الذي مضى قد مضى، يا حبيبتي. والأهم الآن الأمور القادمة في المستقبل.»

كان يتكلم بطريقة ظاهرة واضحة، وأرادت فيكتوريا أن تصدق ذلك بكل جوارحها، ولكن صوتاً خافتاً في داخلها بقي ينبهها، بأن ذلك بعيد عن التصديق.

قطع عليها حبل تفكيرها ليعيد القول الأحب على قلبها: «أحبك، أحبك.» انها الحقيقة الناصعة والأهم التي شهد عليها سكون المكان وأمواج البحر المتلاطمة بالصخور.

www.elromancia.com

الفصل التاسع

كانت الشمس قد مالت إلى الغروب عندما بدآ يمخران عباب اليم في طريقهما إلى جزيرة لابانتيرا. وكان هذا اليوم من أروع أيام فيكتوريا، وقد أشرف الآن على نهايته.

أحست برجفة من جديد، فنظر روركي إليها قائلاً: «هل تشعرين بالبرد، يا حبيبتي.»

«لا، انني بخير.»

قال بلطف: «كان هذا اليوم من أسعد أيام عمري كله.»

تنهدت وقالت: «تماماً، كما وانني احمل الشعور نفسه.»

شعرت بحزن يغمرها بعد ما قالت ذلك، كانت تعتقد انه كان من الأفضل لكليهما لو لم يجتمعا طوال هذا اليوم واستطاعت الرحيل كما كانت قد خططت وقررت. لقد اصبحت محاطة بهالة كبيرة من الكذب.

قال لها: «توريا؟ كنت افكر، بأن لا أعود إلى العالم الحقيقي الآن.»

«أعرف ماذا تعني، تقصد من الأسهل والاهنأ ان يستمر المرء قانعاً في جزيرتك وما يحيطها إلى الأبد.»

اطفأ فجأة محرك المركب، ثم أخذ هديره يخف شيئاً فشيئاً، وقال مبتسماً: «لدي فكرة ما.»

«فكرة ما؟ ماذا تعني بذلك؟»

«هل استطعت مشاهدة بورتوريكو بأكملها قبل ان يوصلك القدر إلى جزيرة لابانتيرا؟»

«لا، ليس الكثير منها.»

«هذا ما اعتقدته، لكن يجب ان تشاهديها. ان الجزيرة في غاية الجمال، وهي مليئة بالمشاهد النادرة والمختلفة، فيها الغابات، والكهوف والشواطى التي تضاهي بجمالها شواطىء جزيرة لابانتيرا.»

بادلته الابتسام قائلة: «هل تدفع لك وزارة السياحة لتقوم بمحاضرات مثل هذه لأي شخص كان، كدعاية، يا سنيور؟»

ضحك وأجاب: «أظن أيضاً انك لم تستطيعي مشاهدة الكثير من معالم سان جوان، مثل كونداو، ولا فورتاليزا، والجزء القديم من المدينة.»

«لا، لم اتمكن من ارتياد أماكن كثيرة من تلك المناطق السياحية.»

«حسناً، إذاً، هذا يحسم المسألة. فعندما نعود إلى المنزل، سأتصل بشركتي وابلغهم بأنني سأتغيب عن المداومة لمدة أسبوع أو أكثر، واعتقد بأنهم يمكنهم ان يتدبروا الأمور في غيابي. سنذهب أولاً إلى بونس. ويمكنك التسوق من هناك إذا شئت، لا يوجد اشياء تغيرك هناك، فالأفضل ان تتسوقي في سان جون، ومن هناك سننطلق بالسيارة إلى شمال المنطقة.»

«روركي، عن ماذا تتكلم؟»

«اتكلم عن تمضية الأيام المقبلة معك من دون اتصالات هاتفية، أو وجود خدم يترصدون حركاتنا. أود من كل قلبي ان اريك الشلال العظيم، وبعده ادعوك إلى عشاء فاخر في مطعم شارت هاوس.»

ظهر على وجهها بوضوح، رغبتها الملحة في ان يكون

www.elromancia.com

كل ذلك مع ما يخالطه من ألم. تنهد روركي وقد لاحظ ما ظهر على وجهها. قال متوتراً بعض الشيء: «عندما أرى تلك النظرة في عينيك، اتحمس بأنه يجب ان اعثر على ذلك الغادر الذي خدعك واخنقه بيدي الاثنتين.»

حدقت في وجهه قائلة: «ماذا تقصد؟»

«انني لست غبياً، يا توريا. استطيع ان اكتشف شيئاً ما، وان هناك أشياء غامضة تحيط بحياتك، ولذلك المخادع يد في هذه المشاكل.»

«كان عليك ان تدعني ارحل هذا الصباح.»

«هل يخيفك ان اتغير من تجاهك لو افصحت لي عن مكنونات قلبك؟» ولما لم تمنحه أي جواب، قال برقة: «لا تخافي، يا حبيبتي. لا شيء ابداً قد يغير ما بيننا. يجب ان تصدقيني وتثقي بي، يا فيكتوريا.»

فكرت قليلاً وتأكدت ان ما يقوله لها حقيقي وصادق، وستستطيع ان تطلعه على ما تعاني منه في يوم من الأيام وربما قد يتفهمها.

قطع عليها حبل افكارها قائلاً: «تعالي معي، يا حبيبتي، وستلمسين كم احبك واريدك.»

كانت المحلات الصغيرة والأنيقة تصطف على طول الطريق الساحلي لبلدة كونادو، وكانت محلات الأزياء تتسابق في عرض افضل ما لديها، لكن واجهة واحدة اذهلت فيكتوريا وحبست انفاسها، لما كانت تعرضه من الأزياء الجميلة والانيقة، خاصة ذلك الثوب الحريري باللون الأزرق يضاربه اللون الأخضر.

تنهدت فيكتوريا لرؤية ذلك الثوب ولم تستطع ان تحبس

تلك التنهيدة لروعته واناقته. كان طويلاً وعلى وسطه شرائط رفيعة تدلت منه وفي اسفله.

قال روركي: «انه ثوب جميل، اليس كذلك؟»

ابتسمت قائلة: «نعم، انه رائع.»

«كأنه قد صمم خصيصاً لك.»

ضحكت فيكتوريا: «دعك من هذا، وبلا سخافة، هذا الثوب صمم لمن يقدر على شرائه.»

رفع روركي حاجبيه وقال: «حسناً، إذاً.»

لكنها لم تدرك ما كان يقصد من ذلك، ولكن عندما فهمت، هزت برأسها رافضة بقوة. «لا، ابداً، لا ولن اسمح بذلك.»

امسك بيدها وجذبها بلطف إلى مدخل محل الأزياء: «حاولي ان تتصلي بمدقق حسابات وقولي له انني لا اتحمل شراء ثوب سعره تافه كهذا، أنا متأكد بأنه سيقهقه ضاحكاً لسماعه ما تقولينه.»

«تعلم ما اعنيه، يا روركي انني لن اقبل ولا بأي طريقة ان تشتري لي هذا الثوب.»

«يسعدني ان اقوم بذلك لأجلك. سيكون هذا لائقاً وجميلاً عليك.» لكن فيكتوريا وقفت دون حراك وصممت على موقف الرفض.

«لا.» قالت الكلمة التي ظلت ترددها طوال النهار. لكن روركي تجاهلها وهز كتفيه دون مبالاة، وتجاوزها ليفتح باب المحل الصغير. تقدمت بائعة منه عندما رأته يدخل وابتسمت له.

نظرت فيكتوريا إليه قائلة: «روركي لن ادخل هذا المكان.» طوى ذراعيه على صدره ووقف يسند الباب وقال

www.elromancia.com

بهدوء: «حسناً، إذاً، سأبقى واقفاً هنا انتظرك.» ثم ابتسم بخبث قائلاً: «لا بأس، فهناك بضع ساعات حتى يحين موعد تناول العشاء، وأنا متأكد بأن البائعات في هذا المكان لن يعترضن على وقفتي هذه.»

«روركي، هذا شيء سخيف.»

«نعم، انه لكذلك. والآن، لما لا تحسنين التصرف وتقومين بتجربة الثوب عليك.»

حدقت فيكتوريا به قبل ان تندفع إلى داخل المحل.

«حسناً. سأجربه، وبعد ذلك، ليتك تشرح للبائعة انني غير مهتمة لشرائه. اير ضيك هذا؟»

كان عليها ان تعلم ان ما تطلبه ليس بالأمر السهل. فقد كان روركي يتكلم مع البائعة بسرعة وباللغة الاسبانية، وقد سمعت أكثرها، سي سنيور، وهي تبتسم له طوال الوقت. دخلت فيكتوريا بعد ذلك إلى غرفة القياسات، واخذت البائعة تساعدها في ارتداء الثوب الحريري امام المرآة.

بدا الثوب أكثر روعة مما تصورت فيكتوريا ان يكون، وزاده جمالاً عندما دفعت بشعرها إلى ما وراء اذنيها.

قالت البائعة: «تبدين في غاية الروعة والجمال، سينيوريتا.» ولم تستطع فيكتوريا ان تخفي ذلك خصوصاً وعندما رأت ان اللون الأزرق في الثوب يتلاءم وعينيها الزرقاوين.

همس روركي: «رائعة.»

عادت فيكتوريا إلى غرفة القياسات واندهشت عندما وجدت ان ثيابها القديمة قد اختفت تماماً وحل مكانها مجموعة اخرى من الملابس الجميلة.

«ماذا يعني كل هذا؟»

ابتسمت البائعة قائلة: «يطلب منك النوفيو ان تجربي هذه الفساتين أيضاً، سينيوريتا.»

قالت متعجبة: «ماذا تعني كلمة النوفيو؟»

«تعني خطيبك. ما أجمله، كم هو جذاب ولطيف.»

تورد خدا فيكتوريا خجلاً: «آه، لكنه ليس...» وسكتت مترددة، وتساءلت ماذا قد يحصل لو انها تظاهرت انها فعلاً خطيبته، ولفترة قليلة؟

قالت بلطف: «حسناً. لنمنحه عرضاً للأزياء، اذا كان هذا ما يتوق إليه.»

«اعتقد ذلك. كما انه يرغب من كل قلبه ان يجعلك سعيدة، انني لم ار في حياتي كلها شخصاً يبتسم وبهذه السعادة عندما يرى خطيبته أمامه بثوب جديد.»

كان حقيقة يبدو سعيداً، قالت فيكتوريا في نفسها في كل مرة تغير ثوباً جديداً وتخرج لتستعرضه أمامه. وقد شعرت هي الأخرى بالسعادة، عندما انتهت من تجربة كل قطعة اختارتها لها السيدة، فالسعادة وكل البهجة عندها، كانت أن ترى روركي راضياً وسعيداً.

ارتدت فيكتوريا ثوبها الذي كانت تلبسه عندما جاءت إلى المحل. وعندما انتهت أخذت تسرح شعرها بأصابع يدها مفكرة ان هذه البائعة ستخيب آمالها اليوم لأنها، أي فيكتوريا، سترفض رفضاً قاطعاً أي قطعة من كل الذي جربته.

التقطت انفاسها عندما خرجت من غرفة القياسات لترى روركي واقفاً ينتظرها وحوله أكياس وعلب عديدة.

«تمتعي بأشيائك الجديدة، سينيوريتا.» قالت البائعة بسعادة، وأمسكها رووركي من ذراعها، وخرج برفقتها إلى حيث كانت سيارة أجرة تنتظرهما. ساعدها لتدخل إلى السيارة، ثم دخل ليجلس إلى جانبها ويضع الأكياس والعلب ارضاً في السيارة.

التفتت فيكتوريا نحوه، وعيناها تشتعلان بالغضب الشديد: «ما قد يكون هذا كله؟»

هز بكتفيه غير مبالٍ وقال: «لم استطع ان اقارن بما هو افضل واجمل من غيره، لذا اشتريتهم جميعاً.»

فغرت فاها بدهشة: «اشتريتهم جميعاً؟ الأثواب، والفساتين، والقمصان.»

قهقه ضاحكاً ومال نحوها يقبل جبينها: «لا تهملي الأثواب الفضفاضة، لأنها المفضلة عندي.»

تنفست فيكتوريا بعمق وقالت: «كيف تجرأت؟ وقد قلت لك بأنني لا أريد ولا أسمح لك ان تشتري لي شيئاً.»

«نعم، أعرف ذلك.» وامسك بيدها وطبع قبلة لطيفة عليها: «لكن الذي فعلته قد منحني سعادة لا توصف.»

«رووركي، كان من الأفضل شراء كل ذلك من بونس فهناك الأسعار زهيدة الثمن، ولكن...»

«ارجوك، حبيبتي. قولي لي بأنك وافقت وقبلت هذه الهدايا مني.»

رفعت عينيها إلى عينيه، لقد قال لها أرجوك، وبهذه الكلمة البسيطة غير كل شيء. فقد كان هناك تأثير بالغ عليها عندما فهمت ان لها سلطة على هذا الرجل الذي بإمكانه ان يحرك العالم بأصبعه.

اغرورقت عيناها بالدموع: «انك رجل غير معقول.»

ضحك رووركي بلطف، وقال: «لا. انني فقط مغرم جداً بك.»

ارتدت فيكتوريا عند المساء الثوب الأزرق الجديد وتناولا طعام العشاء في مطعم أنيق وفخم على شاطىء البحر في دورادو. طلب رووركي بعضاً من عصير الاناناس. وما ان أتى النادل حتى طلب فاتورة الحساب منه بالاسبانية ووقعها، ثم نهض من مكانه ومد يده إلى فيكتوريا قائلاً: «هيا بنا.»

وقفت وهي محتارة تماماً: «ولكننا لم نشرب أية جرعة من عصيرنا.»

ابتسم رووركي بغموض وقال: «احملي كوبك معك.»

كانا يمشيان يداً بيد بعد دقائق قليلة فوق رمال الشاطىء الغارق بظلام دامس.

قالت بلطف: «انه مكان شاعري، من رائحة البحر إلى ضوء القمر الساطع على الشاطىء.»

سأل رووركي ببراءة: «تريدين القول، انهم لا يقومون بما نقوم به نحن الآن في برودول؟»

ابتسمت فيكتوريا قائلة: «لا اظن انه يمكن أن نقارن ما بين البيتزا والسينما في بلادي والروعة هنا.»

ضحك بلطف: «ولا أناناس.»

«لا أناناس، ولا ضوء قمر، ولا رمال دافئة تحت قدميك.»

قال رووركي: «اخبريني، كيف تكون حالة فتاة ترعرعت وتربت في مدينة صغيرة؟»

«انها لا بأس بها... حياة هادئة، على ما اعتقد.»

ابتسم قائلاً: «هل كنت أنت أيضاً على هذا النمط من الحياة؟ اعني في حياة هادئة؟»

تنهدت فيكتوريا وقالت: «هذا وصف جيد لحياتي.»

«اليس لديك اخوة واخوات؟»

هزت برأسها نافية: «كان هناك والدتي وانا فقط.» وترددت قليلاً قبل ان تتابع: «والدي توفي منذ وقت طويل.» انها المرة الأولى في حياتها تتطرق إلى الحديث عن الجانب المؤلم والمحزن في حياتها: «كما انني لم ار له صورة وجه ابداً.»

قال: «آسف جداً لذلك، يا حبيبتي. ولا بد ان ذلك كان قاسياً وصعباً عليك.»

قالت بصدق خالص: «نعم، لقد كان كذلك، خاصة في بلدة صغيرة، حيث ان كل فرد فيها يعرف جميع سكانها...» وتكسرت الكلمات على شفتيها.

«الآن، توفيت والدتك؟»

«كيف عرفت...»

«لقد سبق وقلت لي ان ما من احد ينتظرك في بيتك، هل تذكرين؟»

طأطأت فيكتوريا برأسها وقالت: «نعم.» ثم تنهدت بحرقة: «لقد توفيت منذ ثلاثة اعوام مضت.»

سألها بلطف: «ما الذي حدث لها؟»

تنهدت مجدداً: «لا اعرف في الحقيقة السبب في ذلك، لقد اصابها أولاً برد شديد، مصحوباً بسعال قوي. واجرت بعض الفحوصات، وفوق ذلك خضعت لعملية جراحية... لكنها ظلت مريضة ولمدة طويلة. وفي النهاية، طلب مني

الطبيب المعالج ان ادخلها إلى دار للعجزة، لكنني رفضت ذلك وارجعتها إلى البيت، وهي التي لطالما تعبت وجاهدت لتربيتي.»

لاحظ روركي الغصة المفاجئة في صوتها، فدار نحوها ورفع رأسها إليه: «ارجوك لا تبكي حبيبتي، فأنا لم اقصد ان أذكرك بالأشياء المؤلمة في حياتك.»

«اجل، اعلم حق العلم بأنك لم تقصد ذلك، انما كنت فقط افكر كم أنا سعيدة وهانئة منذ ان تعرفت عليك.»

«نعم. وهذا ما اشعر به أيضاً. هيا. اشربي الآن، وبعد ذلك سنذهب إلى الفندق، ونجلس على الشرفة لنعد نجوم الليل.»

غيرت فيكتوريا ثوبها الحريري للسهرة وارتدت الثوب الفضفاض الذي اشتراه لها روركي. وكان قماشه أيضاً من النوع الحريري وبلون عاجي، وعندما رأت نفسها في المرآة في غرفة النوم، همست بصوت خافت: «انه رائع.» وأطل روركي عليها، بوسامته وشبابه، يرتدي سترة بيضاء وسروالاً اسود اللون.

قال لها باعجاب وفخر: «انك في غاية الروعة والجمال.» ورفع رأسها ليتفحصها بامعان، ثم قال لها بلهفة واعجاب: «احبك، توريا. واريدك ان تتزوجيني.»

شاهدت عينيها في المرآة تتسعان ألماً وهمست: «آه، روركي.» وفي لحظة عابرة شعرت ببهجة تغمر قلبها وتلهب انفاسها. وتذكرت كم عانت وقاست في الأسبوع الماضي لتنساه، فشحب وجهها وقالت: «لا، لا استطيع. شكراً لك على أية حال على طلبك هذا مني، لكن...»

www.elromancia.com

كرر قولها: «شكراً لك على طلبك هذا؟ اهذا كل ما لديك لتقولينه؟ ما الذي تخشينه، يا فيكتوريا؟ وما هو الشيء الذي تخفينه عني؟»

«اخفيه عنك؟ انني لا...»

«انني ارى ان هناك حائطاً يفصل بيننا، لا استطيع اجتيازه. توريا، يا حبيبتي. ألا تثقين بحبي لك؟»

«نعم، لي ملء الثقة بذلك.»

نظر روركي إليها يتفحصها ثم سألها: «إن كان هناك شيء يخصك وتريدين ان تتكلمي عنه، فهيا تكلمي، ولكن كوني على ثقة انني سأظل على حبي لك مهما تقلبت الظروف. ولكن إذا كنت غير راغبة في التكلم، فذلك لا يهم أيضاً. الا توافقين معي بأن حياتنا بدأت في اليوم الذي التقينا فيه، وكل ما كان في الماضي لا معنى له في حاضرنا هذا.»

«هل تعني ذلك فعلاً؟»

قال روركي حين خرجا الى الشرفة: «سأطلعك على أمور حياتي قبل ان تدخلي عليها. كنت استيقظ يومياً في الصباح الباكر، اداعب سوزي والاعبها لبعض الوقت، ثم اذهب إلى مكتبي في الشركة. وفي نهاية النهار، اترك مكتبي وأعود لأمضي بعض الوقت المسلي مع سوزي أيضاً. ان الأوقات التي لم أكن امضيها مع ابنتي، هشة لا معنى ولا حياة فيها.»

ارتعش قلب فيكتوريا: «وهكذا كانت حياتي، أنا أيضاً. ولكنني لم يكن لدي طفلة اهبها حبي وحناني.»

«لقد غيرت سوزي اموراً كثيرة في مجرى حياتي. وكنت احياناً اتساءل، انه لأمر ساخر ومضحك ان يولد شيء يبهج

النفس من زواج فاشل وسيىء مثل زواجي وألكسندرا.»

«اعتقد بأنك احببتها، الم يحصل هذا الحب بينكما؟»

قال روركي بصدق: «اعتقدت أولاً بأننا كذلك، لكن لقد مضى على ذلك وقت طويل الآن.»

وقفت فيكتوريا ونظرت إليه: «هكذا ظننت، وذلك مما فهمته من كونستانسيا، أنه لا زال شيء ما يربطكما ببعض.»

«نعم، هناك شيء يربطنا ببعض، انها سوزانا.»

«تقصد زوجتك.»

«زوجتي السابقة، ارجو منك ان لا تنسي كلمة السابقة.»

«كانت تريد الوصاية على سوزي؟ اهذا ما تريد قوله؟»

وقف روركي أيضاً وتوجه إلى درابزين الشرفة.

«لم تكن الكسندرا تريد نفس الغرض أو الشيء لمدة أسبوعين فقط. وكانت هذه احدى الأسباب التي جذبتني إليها أولاً ولكنني اكتشفت مع مرور الأيام ان الأمر ليس كما ظننت، كانت اشبه بطفل جشع، كانت تهتم لأي شيء للحظات قليلة، ثم بعد ذلك...» وهز بكتفيه وكأنه لم يعد يبالي بشيء.

«أخبرتني كونستانسيا أنها كانت جميلة جداً وجذابة.»

ضحك روركي قائلاً: «ربما لو وصفناها بالمحتالة يكون أفضل. لقد جاءت إلي في مرة تتوسل وكأن كارثة قد المت بها. الحقيقة انها كانت فقيرة، وما كانت تملك لا يكفيها لتكون سعيدة أبداً. وكنت اتململ من كل ما أقوم به من أعمال ومستعد كي استقر وارتاح، وقبل أن أعلم بشيء كنا قد تزوجنا.»

«ماذا جرى بعد ذلك؟»

«كم كان أسهل لو تعدينا الأشياء التي لم تجر.» وبدا

www.elromancia.com

صوته حزينا: «ما من موجب لأتظاهر بأنني لست رجلاً ثرياً، يا توريا. فأنا ثري جداً. لدي منازل في ميامي، وفي نيويورك. ارادت الكسندرا ان تحيا حياة صاخبة، تنتقل من حفلة إلى أخرى، وكنت من ناحيتي قد سئمت كل هذه الأمور والذي كنت افضله، هو السلام والهدوء.»

«لقد وجدت ما كنت تريده، في جزيرة لابانتيرا.»

«لم أكن لاشتري تلك الجزيرة لو انها فقط أخبرتني بما كانت تشعر وتحس به. كذبت علي في البداية بأنها لا تمانع بالحياة عليها، ولم ادر لماذا كذبت، ربما كانت تظن بأنني قد اغير رأيي وارفض العيش فيها بعد ان اصبحت ملكي. وعندما انتقلنا إلى المنزل، أخذت تكرر على مسمعي كل يوم نفس الكلام وتذكرني دائماً بأنها تكره الاقامة هنا. واصبح زواجنا بعد ذلك، مليئاً بالمصائب والمشاكل، لكنني قدمت لها فرصة اخيرة لاصلاح ما فسد بيننا، قلت لها سنترك الجزيرة، ونعيش لفترة ما في سان جوان.»

سألت فيكتوريا بلطف: «ماذا حصل بعد ذلك؟»

«حدث شيء مؤلم، عندما رجعت من عملي إلى المنزل مساءً، رأيت انها رحلت، من دون ان تترك أي رسالة تذكر، ولكنها خلفت من بعدها همسات وتساؤلات عن سبب رحيلها. ففهمت بعد ذلك انها هربت مع رجل آخر.»

قالت فيكتوريا وقد تملكتها الدهشة: «لكن كيف امكنها ذلك؟ كيف طاوعها ضميرها ان تقوم بهكذا عمل؟»

ضحك روركي قائلاً: «لو كنت تعرفينها، لما كنت تطرحين هذا السؤال. لم تكن الكسندرا تفكر الا بنفسها. لقد التقت بأحد الشبان في ليلة ما، واعجبت به جداً وكان ما كان. وبعد

اسبوع من معرفتها به، تركت الجزيرة. لقد اخذها إلى أوروبا، وانفق ما كان معها من نقود، ولما علمت بذلك عملت جهدي كي لا تتمكن من ان تسحب قرشاً واحداً من المصارف، فتركتها مفلسة على الحضيض لا حيلة لها ولا قوة.»

«لا بد أن هذا الأمر كان له وقع بالغ عليك.»

«لقد تم الطلاق بيننا، بعد ذلك وكلت محامين ليعملوا بسرعة على اتمامه. واتصلت بي تتوسلني كي اعيدها إلي، ناحت وبكت وكانت تجيد ذلك وتتقنه، وسألتني ان كان هناك من شيء تستطيع عمله كي اغير رأيي. رفضت وتمنيت لها كل الخير. ثم اقفلت الخط في وجهها، وعدت إلى ممارسة حياتي التي كنت عليها قبل أن اتزوجها.»

تقدمت فيكتوريا نحوه وربتت على كتفه كأنها تطيب خاطره: «عدت إلى دفن نفسك في عملك وبـ...»

«في احدى الليالي، دق جرس الباب، فتحته لأرى الكسندرا وجهاً لوجه.»

«أعدتها إليك.»

تنهد روركي قائلاً: «نعم، ما بوسعي أن أفعل غير ذلك؟ لكن بقاؤها لم يستمر طويلاً، وبعد عدة أشهر رحلت.»

تابع روركي قصته بعد قليل من الصمت: «عندما عادت الكسندرا تلك الليلة، كانت تحمل طفلة بين يديها وقالت لي، روركي، اريدك ان تلتقي بابنتك...»

اجفلت فيكتوريا وقالت: «ماذا؟»

«شيء لا يصدق، اليس كذلك؟ انها لم تخبرني بأنها كانت حامل بابنتي... أيمكنك ان تتصوري ما قد يكون الأمر عندما تعلمين عن شيء كهذا دون أي انذار مسبق؟»

www.elromancia.com

«اتعني انك لم تكن تعلم بشيء؟»

«حتى انني لم أعلم انها كانت حامل. اخذت سوزانا من بين يديها ونظرت إليها، وأنا أفكر بأنني قد ساعدت في منح الحياة لهذه.»

ارتعشت فيكتوريا وقالت: «لا استطيع... لا استطيع ان اصدق هذا. رووركي، انه شيء لا معنى له، اتريد ان تقول بأن...»

قال بصوت اجش: «الذي أريد قوله ان زوجتي الحبيبة كانت حاملاً في الأشهر الثلاث الأولى عندما هربت مع ذلك الرجل... هل يمكنك ان تتصوري هذا، يا توريا؟ امضت كل تلك الأشهر في باريس مع صديقها، وهي حامل بابنتي!»

«باريس!» وتلاحقت انفاس فيكتوريا، وبلحظة جنون فكرت... فكرت... «وهل انجبت طفلتها في باريس؟»

«لا، هناك تركها صديقها روميو. واخذت تنتقل بعد ذلك من مكان إلى آخر، من روما إلى الولايات المتحدة.»

«الولايات المتحدة!» قالت فيكتوريا ذلك وكأنها تخدرت وفقدت الحس والشعور.

ضحك بحدة: «نعم. وهذا كان من اختصاص الكسندرا، وهو عدم الثبات في مكان واحد، وتنقلت في الولايات الأميركية بين نيويورك، وفيلادلفيا، ثم استقرت اخيراً في شيكاغو.»

تراجعت فيكتوريا خطوة إلى الوراء كردة فعل عندما ذكر شيكاغو. وبتراجعها سقطت جالسة على الكرسي الطويل.

«شيكاغو، الينوس؟»

التفت رووركي إليها: «نعم، والواقع ان الغرب الأوسط

مشهور في انجاب الفتيات الجميلات، ذوات الشعر الأسود والعيون الزرقاء.»

«هل أنت متأكد من ذلك؟» ثم تنحنحت قليلاً لتتابع: «هل أنت متأكد بأن سوزانا ولدت في شيكاغو؟»

«هذا الأمر قد جعل من الكسندرا لتظن بأنه نهاية العالم.» وضحك بخشونة وألم: «أعلم بأن ما سأقوله شيء غبي وأحمق، لكن يؤلمني كثيراً ان لا اتذكر ما كنت أفعل أو أين كنت ليلة ولادتها، أحاول دائماً أن أتذكر تاريخ ولادتها، هل هو السادس عشر من شهر كانون الثاني (يناير) نعم، انه لكذلك، وفي الساعة السابعة والنصف مساءً.» اكفهر وجهه وتابع: «يجب على الأب أن يعرف أموراً كهذه.»

صدر عن فيكتوريا شيء اشبه بالعويل الحاد.

«توريا؟ حبيبتي، ما بك؟»

اغمضت عينيها وفكرت، لا، هذا مستحيل، انها محض صدفة، ولا شيء غير ذلك. من المؤكد انها صدفة غريبة، جعلت من الكسندرا كامبل تساعد في منح الحياة لابنتها في شيكاغو في التاريخ نفسه، والساعة نفسها، من ولادة ابنتها.

«توريا. هل أنت مريضة؟»

تأكد لها وبوضوح كلي لم تكن لتتوقعه، ان هذه الحادثة ليست بمحض الصدفة، وبأن بحثها الطويل قد وصل إلى نهايته. وبأن رووركي كامبل قد قام بتربية طفلتها لكن بطريقة غامضة ومخادعة لم يكن على معرفة واطلاع بها. وقد ظن ان سوزانا طفلته، وكانت زوجته السابقة قد كذبت عليه كي تتمكن من العودة إليه...

www.elromancia.com

«فيكتوريا!» رفعت رأسها ببطء والتقت عيناها الشاحبتين بعينيه القلقتين. وعاد يقول لها: «ما بك، يا حبيبتي؟»

سمع اثناء ذلك رنين الهاتف وأخذ كليهما يحدقان به بذهول. وأسرع روركي ورفع السماعة، بينما ابقى فيكتوريا إلى جانبه وقد ضمها بذراعه الأخرى: «نعم، كونستانسيا... سي، الليلة.»

حبست فيكتوريا انفاسها بينما كان يعيد سماعة الهاتف إلى مكانها وهو يتمتم ببعض الكلمات البذيئة.

«روركي؟ هل... هل اصاب سوزانا أي مكروه؟»

بدا وجهه كئيباً وقال: «يجب ان نطير عائدين إلى الجزيرة في الحال.» وتوقف، ولما عاد وتكلم جاء صوته بارداً ومنفعلاً: «لقد عادت الكسندرا. ومع ذلك، سنعالج الأمور.»

الفصل العاشر

أخذت فيكتوريا تحدق في سواد الليل من نافذة الطائرة التي كانت تحلق إلى الشاطىء الجنوبي من بورتوريكو. تنبه عقلها الباطني واحست كأنما هناك شيء ينتظرها، بينما كانت الطائرة تحلق مندفعة بسرعة فوق القرى والمدن التي نام سكانها بهدوء وسلام.

تنهدت بضجر وارخت برأسها على المقعد وكأنها تود ان تخفف بعضاً من هواجسها وشجونها، وتمنت لو انها لم تفسح أي مجال لروركي ليبقيها في جزيرة لابانتيرا، ولا ان تقع فريسة حبه الشديد.

اغمضت فيكتوريا عينيها وفكرت ان الذي تفكر به غير منطقي، وانه لم يكن ليغير شيئاً، وكيف يتسنى لها ان تبدأ حياة جديدة وعقلها وقلبها باتا متعلقان بالحبيب روركي؟ وكلمة لو، لم تعد تنفع لو تغير شيئاً ما، فالواقعة وقعت وعليها ان تفكر ملياً بالأيام المقبلة. والأفضل لها ان تكف عن استعمال كلمة لو في أمور عديدة، وتحصرها فقط في أمر واحد. وهو لو انها من البداية لم تلتق بكريغ الذي كان السبب الرئيسي في شقائها وعذابها.

أحست بانقباض شديد في صدرها وبجفاف احتقن في حلقها، واسرعت تضع يدها على فمها، لكن البكاء غلبها. سمعها روركي فالتفت إليها بسرعة ولهفة وأمسك يدها وسألها: «توريا؟ هل أنت بخير؟»

www.elromancia.com

تنهدت وقالت: «اطمئن، أنا بخير، فقط اعاني من الم في رأسي، هذا كل ما في الأمر.»

قال بلطف: «انك متعبة. لم لا تغمضين عينيك وترتاحين إلى ان نصل؟»

عادت تتنهد وحاولت ان تفعل ما طلبه منها. كانا يحلقان في هذا الوقت فوق البحر، وقد حاولت فيكتوريا جاهدة ان لا تفكر بما ينتظرها بين لحظة وأخرى. لكن كل شيء أصبح قريباً عندما ظهرت أنوار الجزيرة تتلألأ من تحتهما.

لما دخلا المنزل، كانت الكسندرا تهبط السلالم، وذراعاها تمتدان وكأن هذا المنزل لم تزل هي سيدته المطلقة، تريد ان ترحب بالضيوف الوافدين إليه. نظرت إلى فيكتوريا نظرة سريعة وباردة، وحولت نظرها بعد ذلك إلى روركي وابتسمت له.

قالت بصوت أبح: «حبيبي. يسعدني ان اراك مجدداً.»

قال روركي بنبرة حادة: «ماذا تفعلين هنا؟»

ابتسمت الكسندرا بخجل مزيف وهي تتجه نحوه قائلة: «اهكذا ترحب بي بعد غيابي الطويل؟»

أحست فيكتوريا بجفاف في حلقها، فقالت: «عفواً، سأذهب لأطمئن... على سوزانا.»

ارتفع صوت روركي حاداً: «لا. ابقي هنا.»

تجاهلت ما قاله: «روركي، اعتقد ان بينك وبين زوجتك... أموراً كثيرة لتتباحثا بها...»

«لا تنسي، انها زوجتي السابقة.» ثم قال ببرودة شديدة: «اسألك مرة أخرى يا الكسندرا، ماذا تريدين؟»

«هل هناك من سبب وجيه لامرأة تزور زوجها وطفلتها؟»

وحولت نظرها إلى فيكتوريا، ووضعت عيناها حقداً وكرهاً: «من تكون صديقتك الصغيرة هذه، يا حبيبي؟ انه لمن قلة الذوق واللياقة في ألا تعرفنا على بعضنا البعض.»

«الكسندرا...»

«حسناً. إذا كنت لا تريد ان تقوم بتعارف لائق، فسأقوم به بنفسي.» وابتسمت باشراق مزيف ومدت يدها التي ثقلت بالأساور الذهبية: «كيف حالك؟ انني الكسندرا كامبل، وأنت؟»

«انني فيكتوريا هاميلتون. كما وانني مربية سوزانا.»

نظرت الكسندرا بخبث قائلة: «يا لها من كلمة جذابة.»

«للمرة الأخيرة اسألك، لماذا عدت إلى هنا؟»

«لقد اجبتك عن ذلك يا روركي، لقد جئت لأرى ابنتي.»

«ابنتك؟ ألا ترين بأنك قد تأخرت كثيراً لتفكري بابنتك؟»

ابتسمت الكسندرا بمكر وأجابت: «المسألة ليست مسألة ان افكر أو لا افكر، انها مسألة واقع ارتبط به. فارتباطي بسوزانا يوازي ارتباطك بها، ومع انني أعرف تماماً بأنك تريد ان تتجاهل وتنسى هذا الأمر.»

«أنت لا تعيرينها أي اهتمام.»

«طبعاً، أنا أهتم بها يا حبيبي. والا ما الذي يجبرني على المجي، إذاً؟»

«لنفس السبب الذي جئت سابقاً من أجله، من أجل المال.»

«لا تنسى انني زوجتك يا روركي، وأنت تدين لي.»

«انك لست زوجتي، ولا ادين لك بأي شيء.»

قالت الكسندرا بلطف بالغ: «لكنني ما زلت والدة سوزانا، ولا أي طلاق يغير حادثة كهذه، اليس كذلك؟»

www.elromancia.com

توترت اعصاب روركي وقال: «ان كنت تشعرين بغريزة الأمومة، فقد فات الآوان لتقومي بتمثيل هذا الدور الآن.»

«حاول أن تقول مثل هذا الكلام في المحكمة، يا حبيبي، ولا شك انك تعرف ما القوانين حول حق الوالدة بذلك.»

«لقد سبق وناقشنا هذه الأمور يا الكسندرا، انك أنت التي هجرت سوزي.»

«صحيح قولك هذا، يا حبيبي. لقد تركت هذا المكان لأنه لم يكن لدي خيار آخر، ولأنني لم استطع ان استمر في العيش معك على هذه الجزيرة الرهيبة، ومرت علي سنوات عديدة كي اهدأ من الحالة النفسية والعصبية الذي سببه لي البقاء فيها. والتي اوصلتني لاجلس ساعات امام طبيب نفساني لأعطيه الدلائل والحوادث الفظيعة التي دمرت حياتي والتي امضيتها معك على سطح هذه الجزيرة.»

«الكسندرا.»

«ستسنح لك الفرص دائماً ان تفوز علي وتنتصر، في كل مرة ستطرح هذه القضية في المحاكم. واعلم ان قضايا مثل هذا النوع تستمر لسنوات طويلة. وسيكون وعلى ما اعتقد، شيء صعب على سوزانا، عندما ترانا في حالة تنقل دائم في المحاكم وفي معركتنا هذه. ولكن وعلى أي حال، انها فتاة قوية لا تعرف الخوف ابداً، اليست كذلك؟»

قال روركي ببرود: «كنت وما زلت حقيرة وسافلة.»

«انني انبه فقط إلى المآزق التي قد تعترضنا إذا عرضنا خلافاتنا على المحاكم، يا حبيبي، وخاصة إذا فزت أنت في النهاية. وأنت الرجل الوافر الثراء.»

ابعد روركي يد فيكتوريا التي حاولت منعه من التقدم إلى

الكسندرا وقد اشتد غضبه. امسك بكتفي الكسندرا ودفعها بقوة إلى الحائط. علا صوته بارتجاف وغضب: «اتركيني! اتركيني والا سأتهمك بمحاولة الاعتداء علي وانتهاك حرمة منزلي. ولنرى بعد ذلك كم ستستدرين عطف المحاكم في معركتنا من اجل حضانة ابنتنا.»

نادت فيكتوريا بصوت مرتجف «روركي، ارجوك.»

«ابقي خارج هذا الموضوع يا فيكتوريا.»

«روركي.» ووضعت فيكتوريا يدها على كتفه، وأحست بصلابة وقوة عضلاته. وعادت تهمس باسمه مرة أخرى، وشعرت فجأة بارتخاء في عضلاته وكأنه سمع توسلاته لها في ان يدع الكسندرا وشأنها واطلق زفرة حادة، ثم سحب يديه عن زوجته السابقة بحركة بطيئة، وابتعد عنها.

«ما هو المبلغ الذي تريدينه؟»

تفحصت الكسندرا كتفيها بيديها: «لا تحاول وتتجرأ في أن تقوم بهذا مرة أخرى، يا روركي، أو أقسم...»

«طرحت عليك سؤالاً، كم تريدين هذه المرة؟»

ابتسمت بخبث وكأن شيئاً لم يكن. ثم قالت: «كنت دائماً كريماً معي، يا حبيبي. وسأترك لك القرار في ذلك.»

«سوف أحرر لك شيكاً، وبعد ذلك اريدك خارج هذا المكان، هل فهمت؟»

«اشتاق للخروج من هذا المكان أكثر من شوقك ورغبتك في ذلك، صدقني. وسأغادر في الصباح الباكر وبأسرع ما يمكن.» وانتقلت نظراتها إلى فيكتوريا، ثم تابعت: «لم أكن اعتقد بأنك ستستأثر بفأرة كهذه، يا حبيبي. هذا يعني انني لم اتوصل بعد إلى ما توصلت أنت إليه من ذوق رفيع.»

www.elromancia.com

كانت فيكتوريا تقف إلى جانب رووركي، تراقب ما يدور، بينما صعدت الكسندرا إلى الطابق الأعلى.

في الساعات الأولى من الفجر.

نهضت فيكتوريا من السرير بهدوء، تنهدت وهي تسير نحو الباب بحذر شديد. فتحته وخرجت منه ثم اقفلته خلفها بهدوء. انها الوحيدة التي يمكنها ان تبعد تسلط وتهديد الكسندرا كامبل البشعة عن رووركي. وكل ما عليها ان تفعله، هو ان تطلع رووركي على الحقيقة التي احتفظت بها طوال الوقت، وبأن سوزانا هي ابنتها وليست ابنة الكسندرا كما تتدعي، وعندها سيوضع حد لكل محاولات زوجته السابقة وتختفي إلى الأبد.

مسحت فيكتوريا عينيها بيدها وهبطت السلالم وهي حافية القدمين تقصد غرفة الحضانة.

فتحت باب غرفة الحضانة بحذر وانتباه شديدين، فهي لا تريد ان تقلق راحة ونوم ابنتها الحبيبة.

ابتسمت بحزن وهي تناجي ابنتها في قرارة نفسها، وأخذت ترتجف ببهجة مرة وكئيبة بينما كانت تتقدم أكثر فأكثر من سرير سوزانا.

كانت سوزانا نائمة وتتمسك بدبهاالصغير تيدي. مدت فيكتوريا يدها المرتجفة وأخذت تلامس بلطف شعر الطفلة.

«كان لدي شعور بأنني سأجدك هنا.»

استدارت فيكتوريا بسرعة لتجد الكسندرا كامبل تقف عند مدخل باب غرفة الحضانة وهي تراقبها.

«ماذا... ماذا تريدين؟»

«اريد ان اثرثر قليلاً مع مربية ابنتي.»

«لا اريد ان تستيقظ سوزانا، سيدة كامبل. فإذا كنت تصرين على الحديث...»

«آه، طبعاً اصر وبصورة قاطعة.»

«إذاً، هيا بنا إلى غرفة المكتبة.»

كانت غرفة المكتبة مظلمة تلفها العتمة، وأسرعت فيكتوريا إلى النافذة وازاحت الستائر الثقيلة.

قالت ملتفتة لتواجه الكسندرا كامبل: «والآن، ما هو الموضوع الذي تودين ان تكلميني عنه؟»

مالت الكسندرا بجسدها إلى الحائط وقالت: «انك تتصرفين وكأنك في بيتك تماماً هنا، اليس كذلك؟»

«سبق وقلت لك انني مربية...»

«سوزانا. نعم، قلت ذلك.» ثم تابعت مبتسمة وقد رأتها ترتدي الروب الذي يخص رووركي: «هل يعير زوجي هذا الروب لجميع الخدم في هذا المنزل؟ يحيرني تصرفه.»

«سيدة كامبل.»

«كم من الوقت مضى عليك وانت تعيشين مع رووركي؟»

«انني لا أعيش معه... وليس بالطريقة التي تعنيها.»

أخذت فيكتوريا تخطو نحو الباب وهي تقول: «لا أرى هناك شيئاً يوجب ان نتحدث بشأنه. لذا، أطلب منك ان تعذريني.»

«انتظري يا فيكتوريا. انني لم انته من حديثي بعد.»

وقفت فيكتوريا عند مدخل الباب، فسمعتها تقول:

«اريدك ان ترحلي عن هذا البيت حالاً.»

التفتت وقالت: «ان هذا القرار ليس قرارك لتقومي به.»

نظرت الكسندرا إليها ببرودة وجفاء: «زوجي...»

www.elromancia.com

«تقصدين زوجك السابق.»

«روركي ليس بالرجل الذي يختلف عن بقية رجال العالم. كما انه يتعلق بغباء بالنساء، انني اؤكد انك لم تبذلي مجهوداً في جذبه اليك، اليس كذلك؟»

قالت فيكتوريا بلطف: «أما أنا فأرى انك ماهرة جداً في هذه الافعال وهذه الأمور.»

ابتسمت الكسندرا كامبل ابتسامة خبيثة وقالت: «اقر بأنك كنت في منتهى الذكاء لتصلي إليه بهذه الطريقة.»

حدقت فيكتوريا فيها قائلة: «عن ماذا تتحدثين؟»

«قبل ان التقي به، كانت له سمعة سيئة بخصوص تعلقه بالنساء وجذبهن إليه، ولم لا يكون كذلك؟ فرجل له وسامته وثرائه، قد يكون دائماً صيداً ثميناً. لقد أحب في تلك الأيام أن تكون فتاته الجميلة مميزة. وكان من البديهي ان يصادق شخصاً مثلك الآن لتلازمه وتعتني به وبسوزي في هذا المكان الموحش الكئيب.»

قالت فيكتوريا مندهشة: «ما الذي تريدين قوله؟»

«انه عمل ذكي قمت به، واستغليت مشاعر روركي كامبل الذي ما يزال يتعذب ويعاني من خسارة زوجته.»

قالت فيكتوريا ضاحكة: «هذا ما تعتقدينه؟ وأنه يفتقدك ويشتاق اليك؟ صدقيني، سيدة كامبل...»

«لا. أريدك أنت أن تصدقيني، يا آنسة هاميلتون. ان روركي لم ولن ينساني ابداً، والذي رأيته في وقت سابق، كانت الثورة الشديدة، والغضب في حقيقة ما يشعر به تجاهي.»

«انك والحق تدخلين القرف والاشمئزاز إلى نفسي. كما انك كاذبة ومخادعة، لأنني أعلم تماماً ان روركي لا يحبك.»

«يجب ان لا تتناسي مركز كل منا، يا فيكتوريا. فأنت لست سوى شيء تافه وحقير شقت طريقها بأساليب ملتوية ودخلت حياة رجل ثري يشكو من الوحدة.»

«هذا ليس صحيحاً، فأنا لا اكترث ولا اهتم ابداً لثرائه.»

«لعبت دور المربية التي تعتني بسوزانا، ولا شك ان ذلك هز عواطفه وتأثر بمعاملتك الطيبة والحنونة ازاء ابنته. لكنني أنا الوجه الحقيقي في حياته، لأنني زوجة روركي.»

حدقت فيكتوريا في وجهها قائلة: «هيا تابعي حديثك، انني متأكدة بأن كل ما تقولينه يهدف إلى شيء ما.»

«يجب ان لا استخف بما تقولينه، ولكن الشيء الذي اهدف إليه، انني سئمت السفر في انحاء العالم، وقد يكون افضل لي الآن ان استقر واهدأ في مكان واحد.»

«ماذا... ماذا تقولين؟»

«كنت أفكر ربما يكون أفضل لي أن أبقى هنا لبضعة أشهر، فقد يكون الأمر ممتعاً ومسلياً.»

«ممتع ومسلي؟ وهل تعتقدين ان الخروج والدخول إلى حياة رجل ممتعاً ومسلياً؟ هل فعلاً تعتقدين ذلك؟ انسي هذا الأمر، لأن روركي لن يمنحك أية فرصة أخرى.»

«استطيع ان أقوم بما أريد واشاء، أظن انك فهمت ذلك قبل الآن.»

«انني أظن بانك تبالغين في تقدير وضعك الحالي، يا سيدة كامبل.»

ضحكت الكسندرا قائلة: «ربما. لكن ليس من ناحية الأمومة، لا تنسي بأنني والدة سوزانا. فهذا يمنحني قوة خاصة. قوة وسلطة لا يمكنك ان تنافسينني بهما.»

www.elromancia.com

«كيف يمكنك ان تقومي بكل ذلك؟ اليس عندك ذرة من المشاعر الطيبة تجاه رووركي وتجاه سوزانا؟»

«اريدك ان تخرجي من هذا المنزل وفي غضون ساعة من الوقت، لأنني أنا زوجة رووركي كامبل.»

«لا. انك لم تعودي زوجته الآن.»

«كما وانني والدة سوزانا، وأنت لا شيء، ولست سوى...»

«انك لست والدتها أيضاً.»

سقطت الكلمات على سمع الكسندرا كسقوط الحجارة، وبدت شاحبة لفترة قصيرة، ولكنها استدركت امرها بسرعة.

«يؤسفني ان اخيب آمالك، يا عزيزتي، لأنه ما من طلاق مهما كان، يوقف عملية الأمومة.»

«أنت لست والدتها. كما وانك لم ولن تكوني ابداً.»

«ما... ما هذا الكلام غير المنطقي الذي تتفوهين به؟»

«انها الحقيقة بعينها، أنا اعرفها وانت تعرفينها، فسوزانا ليست طفلتك، وقد... وقد اشتريتها.»

تراجعت الكسندرا إلى الوراء قائلة: «لا بد وانك مجنونة حقاً! انني وبشكل قاطع اريدك ان تخرجي من هذا المنزل، فأنا لا اقبل بواحدة طائشة مثلك ان تعتني بـ...»

اغرورقت عينا فيكتوريا بالدموع. وقالت: «اسم عائلتي ليس هاميلتون، بل انه ونترز. فيكتوريا ونترز، وقد انجبت طفلتي في السادس عشر من شهر كانون الثاني (يناير)، وذلك منذ اربع سنوات مضت، في مستشفى النساء في شيكاغو وفي تمام الساعة السابعة والنصف مساءً.»

شحب وجه الكسندرا وقالت: «ماذا؟»

«قال طبيبي المعالج انه رتب أمور حضانة طفلتي. لكنه كان قد كذب عليّ، وباعها إليك، لقد اشتريت ابنتي كي تقنعي رووركي بأن يعيدك إليه.»

تمتمت فكيتوريا: «كيف... كيف اكتشفت ذلك؟»

«لقد استأجرت تحرياً خاصاً، اردت ان ارى طفلتي واطمأن عليها، وهذا الذي دعاني إلى المجيء إلى هذا المكان في المرتبة الأولى.»

«هل قلت شيئاً من هذا أمام رووركي؟»

«لا. لا، انه لا يعرف أي شيء.»

«هذا لا يغير شيئاً. ما زلت أريد ان تخرجي من هذه الجزيرة.»

«نعم، سأخرج من جزيرة لابانتيرا، وكذلك أنت، لأنني لن اسمح لك ان تؤذي رووركي وسوزانا اكثر مما فعلت.»

ضحكت الكسندرا قائلة: «أيجب ان اكرر قولي بأنني جئت إلى هنا لأبقى؟ لن تستطيعي أن تمنعيني عن ذلك.»

رفعت فيكتوريا رأسها بتحد وقالت: «لا استطيع؟»

«أعرف تماماً بماذا تفكرين، انك تفكرين بالاسراع إلى رووركي لتخبريه بالقصة السخيفة التي ابتدعتها.»

«سأقول له الحقيقة التي يجهلها، إذا كان ذلك يوقفك عند حدك والكف عما تسببينه له من الأذى.»

«تريدين ان تخبريه الحقيقة إذاً؟ حسناً، انطلقي. فأنت ترين انني لا اوقفك عن عزمك، هيا، اذهبي واخبريه بقصتك، وبكل طيبة خاطر مني. اخبريه، ودعيه يعرف من أنت في الحقيقة، يا فيكتوريا، انك امرأة مستهترة تخلت عن طفلتها تماماً مثلما ترمي القذارة في القمامة.»

www.elromancia.com

صرخت فيكتوريا: «لا، لم يكن الأمر كما تعتقدين.»

«كيف كان اذاً؟ وقد انجبت طفلة بصورة غير شرعية، وبعتها لمن يدفع ثمناً أكثر.»

«هذا كذب، انني لم أتقاض قرشاً واحداً ثمناً لابنتي.»

«دفعت لأجل سوزانا خمسون ألف دولاراً. حاولي فقط ان تقنعي أيا كان انك لم تقبضي قرشاً واحداً من ذلك الثمن.»

«سأقول الحقيقة إلى روركي، على أية حال.»

«هيا، قومي بذلك إذاً، اذهبي واخبريه. وتذكري بأنني سأبقى موجودة هنا لأتأكد انك اخبرته القصة بأكملها. اخبريه أيضاً كيف صدف الأمر ودخلت حياته، وكيف استقصيت عنه وعن اخباره، آه، وايضاً، كيف تمرغت في الوحول و...»

«فيكتوريا؟»

التقطت انفاسها عندما استدارت ورأت روركي: «روركي. منذ متى، وأنت واقف هنا؟»

«عن ماذا كانت تتكلم، يا فيكتوريا؟»

«انها... انها...» وارتجفت شفتا فيكتوريا «روركي، ان الأمر ليس... ليس كما جعلته يبدو...»

«ليس كذلك؟»

«لا، لا، انني... انني...»

«إذاً، قولي لي بأنها تكذب؟» وتقدم منها خطوة واحدة: «باستطاعتك ان تقومي بذلك، اليس كذلك؟»

«روركي، أرجوك، ان الأمر ليس بالسهولة كما تظن.»

«ماذا يعني ذلك؟ هل كانت تكذب، ام لم تكن تكذب؟»

«لا، نعم، ولكن ليس بشأن...»

«لا؟ نعم؟ ما الذي تحاولين قوله؟ هل كان ذلك صحيحاً؟ وانك خططت للدخول إلى حياتي؟» لم تجب بشيء، فتحرك بسرعة نحوها وامسك بكتفيها بقوة: «اجيبيني. هل جئت إلى شركة كامبل بحثاً عن وظيفة ما، أم بحثاً عني؟»

«بحثاً عنك. لكن... لكن...»

«لأنني روركي كامبل.»

«نعم، ولكن ليس بالمفهوم الصحيح.»

«لقد أخبرتني بكل شيء، يا حبيبي. لقد جاءت إلى غرفتي منذ بعض الوقت، وقالت لي بأنه من الأفضل ان اخرج من حياتك، وبأنها لن تتحمل أي تدخل آخر في حياتها. آه، يا حبيبي، كيف استطعت ان تثق بهذه الفتاة، وهي التي كانت تخدعك طوال الوقت بخططها الماكرة.»

حدقت فيكتوريا في وجه روركي وقد تبدل حالها إلى خوف شديد. «روركي، ارجوك لا تصدقها.»

«اتريدين القول انها تكذب علي.»

«نعم، وبالتأكيد.»

«اذاً، تكلمي، لماذا كنت تبحثين عني؟»

وبلعت بريقها الجاف: «حسناً، سأقول لك كل شيء.»

اضمحلت الكلمات التي ارادت ان تنطق بها، وصعقتها فجأة فظاعة ما ستقوله، وما الذي ستقوله؟ اتقول له انه ليس والد سوزانا؟ من المؤكد ان ذلك سيقضي عليه.

همست بحزن شديد: «ليس عندي ولا جواب واحد.»

غمغم بتوتر شديد: «اخرجي من بيتي.»

«روركي...»

«اخرجي الآن! هل تسمعين ما قلته؟»

www.elromancia.com

تحركت الكسندرا كامبل إلى جانب روركي: «اهدأ، يا حبيبي.» قالت ذلك وهي تلمس خده بلطف ومودة.

كان ذلك آخر شيء رأته فيكتوريا قبل ان تخرج منهارة من الغرفة، وكانت ذكرى مؤلمة لها انطبعت في رأسها إلى الأبد، فقد كان روركي يقف بلا مبالاة وببرودة شديدة امامها وإلى جانبه الكسندرا كامبل وهي تبتسم بابتسامة تشع انتصاراً وتشفيا منها.

الفصل الحادي عشر

تمر الحياة أحياناً وذلك مما لا شك فيه، قاسية ويتلقى المرء فيها ضربات عنيفة ومتتالية، ويعتقد البشر عند ذلك، انها لا تحتمل ولا تطاق ومن غير الممكن الاستمرار فيها. لكن الحياة تستمر في خيرها وفي شرها في آن واحد. والذين اعتقدوا انه لا يمكن الاستمرار فيها، تراهم يكافحون ويناضلون ليبقوا على قيد الحياة، فهي جميلة، وعلينا فقط أن نعرف كيف نسيّر أيامها الحلوة والمرة. كيف نتعلم ان نرمي بأحزاننا وهمومنا جانباً وننظر دائماً إلى المستقبل بتفاؤل وبصدر واسع رحب. هذا ما أخذته فيكتوريا عبرة ودرساً بعد كل ما مرت به وقاست منه.

بقيت تردد ذلك في نفسها بأنه عليها أن تصبر وتكافح كي تستمر في الحياة. وكانت الطائرة المروحية تنقلها من جزيرة لا بانتيرا إلى سان جوان حيث ستستقل الطائرة عائدة إلى وطنها الأم.

كان صوت في داخلها يهمس لها، انه عليها أن تجتاز وتتغلب على كل ما حدث لها، بينما كانت تأخذ مكانها في الطائرة.

عادت تتذكر آخر ما كان لها معه في اللحظات الأخيرة، ووجهه البارد والمكفهر، وعيناه تلمعان حرقة وغضباً، وفمه الذي التوى تألماً وازدراء في آن معاً. أحست بانقباض شديد في صدرها وبقلبها الذي يئن ألماً وحباً له،

www.elromancia.com

فلولا حبها الشديد له وخوفها من أن تخسره، لكانت قد باحت بالحقيقة، لكنها خسرته في جميع الأحوال، وفكرت انه أهون عليها أن تخسره على هذه الصورة، مما أن تخسره بعد معرفته لحقيقة أمرها. انها لن تنسى ابداً نظراته الأخيرة لها، والتي بدأت بألم وحزن، وانتهت بكره وحقد شديدين.

جلست فيكتوريا بارتياح على مقعدها وأسندت رأسها إلى الخلف، وقالت في نفسها انها يجب أن تكف عن التفكير بذلك فأمامها رحلة شاقة، يجب أن تفكر في أمور حياتية أخرى، وليس بروركي.

الدكتور رونالد، نعم هذا من يجب أن تفكر به، وعند ذكر اسمه أحست بانقباض شديد في أمعائها، أخذت تجمع في رأسها الأسئلة الملحة التي تريد أجوبة صادقة عليها، فهي لن ترتاح ولن يهدأ لها بال إلا إذا واجهته بأسئلتها هذه. لكن الأمر لن يكون بهذه السهولة، لأنه تقاعد وانتقل إلى مكان بعيد بعد وفاة والدتها مباشرة. لكنها ستفعل المستحيل كي تجده، وستجده وستصب على رأسه غضبها وكرهها الشديدين له.

عندما وصلت، كان مطار أوها يزدحم بالمسافرين العائدين من العطلة الشتوية.

كانت تشعر بدوران شديد في رأسها وبارهاق وتعب وكأنها قطعت المسافة ما بين سان جوان وإلى برودول سيراً على الأقدام. كانت هذه البلدة الصغيرة يلفها السكون والهدوء الجليدي من الأيام الأخيرة لفصل الشتاء، وبدا لها المكان غريباً ومستهجناً خاصة بعد حرارة الشمس الدافئة في جزيرة لا بانتيرا.

كانت شقتها الصغيرة، ضيقة المساحة وتحوي أشياء كثيرة، وتذكرت بأنها كانت على وشك أن تستغني عنها وعن وطنها لتبقى مع حبيب العمر رووركي في جزيرته الوديعة والهانئة.

كل الذي هي بحاجة إليه الآن، فكرت بينما أخذت تنزع عنها ملابسها وتتمدد على فراشها، هو أن تحاول بكل ما لديها من قدرة وتحمل، أن تنسى وتمحو من ذاكرتها كل ما لاقته في تلك الجزيرة، وبعد ذلك... بعد ذلك...

تسارعت ساعات الليل وغرقت في نوم عميق حجب عنها كل ما كانت تفكر به.

كانت الأيام تمر عليها ما بين الصاحية والنائمة، فأحياناً كانت تستفيق عند شروق الشمس وأحياناً أخرى في وقت بعيد من ساعات الليل السوداء، كانت تأكل فقط عندما تشعر بالجوع، وتفتح بعض المعلبات التي وجدت في خزانة المطبخ دون أن تقرأ ما نوعيتها، وقد تكون أحياناً سمك الطون، أو الفاصولياء المحضرة، أو الحساء، أو أي شيء تضع يديها عليه. كأنما أرادت بذلك استمراراً لوجودها، لا فرق عندها ما قد يكون نوع الطعام.

في أحد الأيام وبينما كانت فيكتوريا تتحول من المغسلة حيث ملأت ابريق الماء كي تغليه على النار، نظرت إلى الخارج من نافذة المطبخ، وكانت قد اشترت في ذلك اليوم من أيام السنة الماضية، بذور زهر البنفسج وزرعتها في وعاء علق على النافذة من الخارج.

وضعت ابريق الماء على النار، ثم فتحت النافذة، وكان الوقت قد أصبح ربيعاً، والجو يعبق برائحة الأزهار التي

زرعت. والأعجوبة التي التقطتها عينا فيكتوريا، هي تفتح زهرة البنفسج التي زرعتها في الوعاء الخارجي.

لمست فيكتوريا تلك البراعم الصغيرة في دهشة واعجاب، ثم التفتت ببطء ونظرت في أرجاء المطبخ، ورأت ولأول مرة الأطباق والصحون تتكوم في المغسلة، وتناثرت معلبات الطعام على الأرض وكأن القمامة ضاقت بها. وأخذت تمشي في الشقة بتمهل وتمر بيدها على أثاثها الذي امتلأ غباراً، ولمست يأسها وحياتها التافهة ووحدتها في الشقة، وعندما انتقلت إلى غرفتها توقفت أمام المرآة لتنظر إلى وجهها، وصعقت لما عكسته المرآة.

كان شعرها غير منتظم وخصلاته متشابكة ببعضها البعض، وبدا قميص نومها وكأنها نامت به لعدة أيام متتالية. وتابعت تتأمل هيئتها التي عكستها المرآة فرأت فيها صورة امرأة استسلمت بهزيمة.

انها لم تستسلم من قبل، ولا يمكن أن تستسلم الآن، كما انه كان هناك واجب عليها أن تقوم به دون ابطاء، هل نسيت أمر الدكتور رونالد؟ نعم، فهي تريد أن تراه وبالحاح شديد لمواجهته ولتحصل منه على أجوبة لأسئلتها.

نزعت فيكتوريا عنها قميص النوم ودخلت إلى الحمام لتستحم. ما ان انتهت حتى ارتدت بلوزة بيضاء قطنية و تنورة سوداء من نفس القماش، وحذاء خفيفاً.

كان برني وراء ماكنة تسجيل النقد عندما دفعت فيكتوريا باب المطعم في شارع ٦٦. قال باقتضاب: «ماذا أقول؟ وأنا أرى ما قذفته الرياح إليّ.»

ابتسمت فيكتوريا قائلة: «مرحباً، برني، كيف احوالك؟»

«لا يمكنني التذمر. تصوري، لقد كنا نتكلم بشأنك، أمس.» وارخى ساعديه المكتظتين بالشحم واللحم على الماكنة ثم اخذ ينظر إليها. «زبونان من زبائن المطعم وانا، فكرنا بأنك ربما قررت ان تبقي هناك حيث كنت. أين كنت؟ في الباهاماس؟»

هزت برأسها نافية وقالت: «لا، في بورتوريكو.»

«آه، نعم، واعتقد ان كل الجزر متشابهة، اليس كذلك؟»

ارتعشت شفتا فيكتوريا وقالت بلطف: «لا، ليس كما تظن، فهناك فرق شاسع ما بين الجزر.»

استوى في جلسته، ثم سألها: «إذاً، ما الذي تفعلينه هنا؟ هل اتيت لتقولي فقط مرحباً، ام انك تبحثين عن عمل ما؟»

قالت بصدق: «جئت من اجل العمل.»

«بإمكاني في كل وقت ان اجد نادلة نشيطة مثلك لهذا المطعم، انما زميلتك لورين أخذت مكانك، فإذا أردت العمل هنا فبإمكانك ان تعملي في المناوبة ما بين الساعة الرابعة من بعد الظهر وإلى موعد الاقفال.»

زفرت زفرة حادة لسماعها ذلك، ثم تساءلت في نفسها، ولِمَ لا؟ انها مفلسة تقريباً، ومال الاكرامية الذي سوف تتقاضاه من الزبائن في مناوبة الليل سوف ينفعها كثيراً. ثم، ماهمها متى يكون دوام العمل؟ فهناك ساعات من حياتها عليها ان تملأها عملاً وانهماكاً حين لا تجد من يشاركها هذه الحياة، فقالت له مؤكدة: «اوافق على ذلك، انه يناسبني تماماً. فمتى ابدأ عملي؟»

ابتسم برني ابتسامة واسعة وقال: «هل يكون هذا اليوم بالذات باكراً عليك؟»

www.elromancia.com

وافقت فيكتوريا في الحال. لكن العمل كان صعباً عليها في الساعات الأولى من المناوبة. فقد شعرت بقدميها تؤلمانها لوقوفها ولوقت طويل وكأنها للمرة الأولى تعمل فيها نادلة في مطعم ما. وقد حرقت اصابع يديها عندما حملت فجأة الطبق الذي كان لمدة طويلة في الفرن، وثانياً دون انتباه منها، سقطت الصلصة على بلوزتها ولطختها.

رفع برني حاجبيه سائلاً إياها: «هل أنت بخير؟»

طأطأت برأسها وهي تحاول ان تزيل البقع التي لطخت البلوزة التي ترتديها، وقالت: «انني بخير.»

«ما الذي كنت تفعلينه طوال الوقت في تلك الجزر؟ لا بد ان اقامتك الطويلة هناك قد انستك الطريقة التي تشوي بها اللحم.»

«اشعر فقط، وكأنني ابتعدت عنكم لمدة طويلة.»

تابع يبتسم لها قائلاً: «لا بد وان تلك العطلة كانت تماماً وكأنك تعيشين في جزر الاحلام؟»

توالت الثواني قبل ان تستطيع الاجابة: «نعم. تماماً كما وصفت، انها جزر الأحلام بعينها.»

ارادت زميلتها النادلة الأخرى، ان تستمع وتعرف كل شيء حول الجزر الكاريبية، فتدخلت قائلة: «هل هي فعلاً جميلة ورائعة كما يصفونها؟» وتنهدت نادلة أخرى وهي تجلس معها إلى طاولة حول فنجان من القهوة بعد استراحة طعام العشاء. «شبان بهيو الطلعة. هيا فيكتوريا، اخبرينا بأنك قابلت اميراً جذاباً على تلك الشواطىء.»

«لقد... لقد التقيت بالعديد من الأشخاص.»

امتعضت احدى النادلتين وقالت: «اننا لا نقصد ذلك،

وتعلمين تماماً ماذا نقصد. هؤلاء الذين يشعرونك وكأنك التقيت برجل احلامك في احدى تلك الجزر.»

بلعت فيكتوريا بريقها ونظرت إلى فنجان القهوة، ثم قالت بلطف: «لا، لا يوجد أية نهاية سعيدة في هذا العالم.»

توالت الأيام لتصبح اسابيعاً، والاسابيع تصبح شهوراً، وهي تشعر بأن ما وقع لها في جزيرة لابانتيرا، كان لا شيء سوى سراباً ووهماً.

علمت الآن، إلى اين انتقل الدكتور رونالد، وقد المح برني بمحض الصدفة انه قد انتقل إلى فلوريدا.

سجلت فيكتوريا ذلك في ذهنها وارجعت حساباتها، وعرفت بأنه عليها أن تعمل لبضعة أشهر أخرى كي تستطيع ان توفر المال الكافي ومن ثم تسافر إلى فلوريدا، ولكنها عقدت الأمل والعزم على تنفيذ مشروعها هذا. وفي ليلة حارة من ايام الصيف حيث يخف ويقل العمل في المطعم، تدخل القدر في حياتها. وكانت في تلك اللحظة تجلس على كرسي وراء ماكنة تسجيل النقد وتقرأ باهتمام الصحيفة اليومية، وشعرت بأحد ما يدخل المطعم، رفعت رأسها ونظرت لتجد الدكتور رونالد يدخل ببطء إلى المطعم.

ظنت للوهلة الأولى، أنه من غير المعقول ان يكون هو نفسه. فقد بدا عجوزاً هزيل الجسم مرهقاً، ووجهه شاحباً.

تنهدت بعمق، وقامت من مكانها، وخطت بهدوء نحوه.

قالت بلطف عندما دنت منه: «يا للعجب، دكتور رونالد؟»

ابتسم بتردد وقال: «نعم؟ من؟ آه، فيكتوريا.» وتلاشت ابتسامته، وظهر لها فجأة انه حقيقة مخادع وماكر. ومد يده اليها يريد مصافحتها. «فيكتوريا، عزيزتي. يا لها من

www.elromancia.com

مفاجأة سارة، اتدرين، لقد نسيت بأنك تعملين في هذا المكان، كنت وزوجتي على مقربة من هنا و...»

«دكتور رونالد. لا أصدق ان الرجل الذي يقف أمامي، هو حقاً أنت.»

«جميل جداً ان التقي بك أنا أيضاً، يا عزيزتي. كيف حالك؟»

بلعت ريقها بغصة وعصبية وقالت: «أريد التحدث إليك.»

هز الدكتور رونالد برأسه. كأنه يرفض طلبها، ثم تراجع خطوة واحدة الى الوراء. «أود ذلك من كل قلبي لو كان في الامكان التحدث معاً، ولكنني على عجلة من امري. وتوقفت في هذا المكان كي استعمل...» توقف عن كلامه فجأة واخذ يحدق في وجهها بينما هي امسكت بذراعه وراحت تدفعه خارج المطعم.

«فيكتوريا، ماذا هناك؟ قلت لك، انني على عجلة من امري.»

اضطربت في هذا الوقت. وبما ان الساعة التي طالما تمنتها لمقابلة الدكتور رونالد اصبحت الآن بين يديها، فكل ما تملكها من غضب وثورة نفسية اشتعلت وعصفت بها.

«كيف طاوعك ضميرك ان تفعل ما فعلته بي؟»

«كيف طاوعني ضميري؟ لا ادري عما تتكلمين؟»

«لا تحاول ان تتظاهر بالبراءة، لقد عرفت الحقيقة الآن، يا دكتور، وقد رأيت ابنتي.»

قال بلهجة خائفة: «ماذا تقصدين بالضبط؟»

«اقصد انني... عرفت كل ما قمت به، لقد بعت طفلتي يا مجرم، بعتها أيها الحقير وكأنها... وكأنها كلب.»

«لقد وضعتها عند احدهم لرعايتها. لقد اتممت كل شيء بطريقة قانونية.»

«منذ متى كان بيع الأطفال يقره القانون؟»

«فيكتوريا، كيف تتمسكين برأي من هذا النوع؟»

«لقد كذبت علي في كل شيء، يا دكتور رونالد وانك قابلت الوالدين اللذين سيحضناها، ولكنك لم تفعل ذلك ابداً.»

«اكد لي المحامي بأنهما سيعاملانها بكل حنان ومحبة، ولم تكن القيمة المالية سوى تعهد منهما لذلك.»

«أنت الذي اخذ المال، وما قمت به مخالفاً للقانون، لا استطيع ان اتصور كيف تمكنت من فعل ذلك؟»

تنهد وصرح لها قائلاً: «كان قد اقسم لي المحامي، بأن الطفلة ستتربى عند عائلة ممتازة. كان المال لقاء اجر لمعالجة والدتك والتي كانت... كل الذي كان علي ان افعله هو ان اتأكد بأن شهادة ولادة الطفلة دونت عليها الأسماء الصحيحة. لم يكن الأمر شائناً كما تتصورينه، كما وانك لم يكن باستطاعتك ان تحتفظي بالطفلة، وكما ترين، هي الآن تنعم في احضان عائلة كريمة.» قرأ الخوف في عينيها فقال مضطرباً: «ما... ما الذي تفكرين بفعله؟»

ركزت فيكتوريا عينيها عليه قائلة: «لا ادري تماماً ما يجب ان اقوم به، وقد اذهب إلى السلطات المختصة.»

تسارعت انفاس الدكتور رونالد وقال: «لا يمكنك ذلك.»

«لا ادري، ربما.»

«لا يمكنك ذلك. لا تنسي انك وقعت اسمك على الأوراق الشرعية، ولا يمكنك ان تفعلي اي شيء حيال ذلك.»

«صحيح؟»

www.elromancia.com

دارت حول نفسها ثم ابتعدت عنه.

أخذت اجازة لمدة يومين من عملها، وللمرة الأولى ومنذ عودتها من جزيرة لابانتيرا، لم تنهمك الا في الأعمال المنزلية في شقتها.

لم تتوقف عن الحلم بروركي، ولكن هذه الأحلام كانت مليئة بالألم والحزن الدفين، وكانت تستفيق من نومها وعينيها قد اضنتهما الدموع الحارة وبللت الوسادة. واخذت تتخيل وجوده في كل مكان، كانت تراه امامها في المحلات التجارية، او تراه يبتسم لها بلطف في المطعم.

لم تندهش عندما شاهدته ذات صباح يقف امام باب شقتها. وقد رن الجرس واسرعت تفتح الباب وتوقعت ان الطارق صاحبة الشقة وقد جاءت لتكلمها بأمر تسرب المياه من المطبخ. ولكنها لم تكن صاحبة المكان، واستطاعت برغم اشعة الشمس التي كانت تتسلط على عينيها، ان تتبين الذي تراه ويدل شكله على انه رجل وليس امرأة، طويل وعريض المنكبين.

«نعم؟» قالت وابتسامة مترددة غمرت وجهها، تحرك الرجل بعد ذلك، وتبينته. آه! تحققت بأنه هو نفسه.

كان روركي بلحمه ودمه.

الفصل الثاني عشر

وقفت تنظر إليه وقد فغرت فاها باندهاش شديد، وبعينين واسعتين. لم تتصور ابداً بانها قد تراه ثانية، أو تفتح مرة باب شقتها الصغيرة لتراه واقفاً امامها.

قالت اخيراً بصوت محتقن: «روركي؟»

«فيكتوريا.» وجاء صوته هادئاً وبأدب، تماماً كما بدا في وقفته ونظراته إليها. وعندما لم تتفوه بكلمة، رفع حاجبيه قائلاً: «أيمكنني الدخول؟»

وصل إلى وسط غرفة الجلوس، وهو يتفحص بعينيه الشقة التي تسكن فيها. ولاحظت تعابير الاشمئزاز ترسم خطوطاً واضحة على ملامح وجهه الجميل، وأخيراً التفت إليها ليواجهها تماماً. «آمل ان لا أكون قد ازعجتك؟»

بدت التعابير على وجهه الآن باردة، ولكنه بدا كذلك أكبر سناً كأن ما حدث قد اتعبه وارهقه وأحزنه. رأت خطوط اليأس والألم حول عينيه الذابلتين، وكذلك حول فمه.

قطع عليها حبل افكارها قائلاً: «كان يجب ان اتصل بك قبل ان احضر، لكنني لم أفكر بذلك الا عندما وصلت إلى الشارع الذي تقيمين فيه، ارجو ان لا يكون تطفلي هذا قد ضايقك، يا فيكتوريا؟»

«لا، أبداً، انني فقط...» وبلعت بريقها لتتابع: «روركي؟ ما الذي... ما الذي تفعله هنا؟»

«لو انك تقفلين باب شقتك قبل ان أجيبك على سؤالك هذا.»

www.elromancia.com

سألت بغباء شديد: «الباب؟»

«نعم. هناك مسألة خاصة يجب ان نتباحث بها.»

حدقت به لفترة وجيزة قبل ان تتحرك وتقفل باب الشقة. وعندما استدارت نحوه، وجدته قد سار إلى طاولة صغيرة وضعت عند النافذة، ورأته يمد يده إلى جيب سترته الداخلية ويتناول منه ظرفاً: «حرر المحامي خاصتي هذه الوثيقة... وطلبت منه ان يضع شروطاً فيها لكي تكون واضحة لرجل علماني مسؤول، لكن، هل يوجد لديك اية اسئلة.»

«هناك اسئلة فعلاً، أعني هناك البعض منها.»

«صحيح؟ لكن عليك ان تقرأي الوثيقة اولاً.»

«اعني... كيف تشعر يا رووركي؟ وهل أنت بخير؟»

«كنت على خير ما يرام. والآن، ان كنت فقط...»

وتقدمت خطوة واحدة منه سائلة: «كيف سوزانا؟ هل هي... هل هي بخير ايضاً؟»

لوى بفمه وقال: «ان اهتمامك زائد ومؤثر فعلاً يا فيكتوريا، والآن، ارجو منك ان تقرأي هذه...»

«هل ألم أي سوء بسوزي؟» واخذ صوتها يرتجف.

«لا، أؤكد لك، انها بخير وبصحة جيدة.»

تنهدت بارتياح وقالت: «عظيم. هذا عظيم جداً، أتعلم، لقد اخفتني حتى الموت لبعض الوقت، كنت أخشى ان...»

«انها ما زالت تسأل عنك باستمرار.»

«هل حقيقة تسأل عني؟ حسناً، اعتقد ان...» وتكسرت الكلمات على شفتيها من خوفها الشديد. وقالت بصوت متقطع: «أترغب، اترغب ببعض القهوة، أو...»

«انها ليست زيارة رسمية.»

«لا، بالطبع لا. أردت فقط...» التفتت نحوه ونظرت إليه: «رووركي؟ كيف عثرت على مكان اقامتي؟»

تحركت قسمات وجهه دون مبالاة وقال: «لم يكن الأمر صعباً علي، خاصة وان برودول بلدة صغيرة.»

«نعم، ولكن...»

«كما ان هناك فيكتوريا ونترز واحدة في دليل الهاتف.»

«ونترز؟ انك... تعرف ان اسمي...؟»

«أريد ان اقول لك انني في سرعة من امري.» توجه نحوها، والظرف لا يزال في يده الممتدة إليها: «اقرأي ما جاء في هذه الوثيقة، وتأكدي من أنها توافقك، ولننهي هذا الأمر كله.»

أخذت الظرف منه وفتحته: «ما هذا؟»

«انه يفسر نفسه بنفسه، على ما أظن.»

وأخذت تقرأ باضطراب طريقة الشروط التي ظهرت فيها الكلمات في سياق رسمي: «جانب الفريق الأول... يصدق بموجب ما جاء في هذه الوثيقة من قسم اليمين والحلفان... في الموافقة والضمانة لهذا الأمر وإلى الأبد...»

نظرت إليه وقالت: «ما قد تكون هذه، يا رووركي؟»

تكلف الابتسام قائلاً: «تجدين ورقة مرفقة بالورقة التي قرأتها الآن، وقد توضح لك الأمر اكثر.»

قلبت فيكتوريا الصفحة الأولى ومنها إلى الثانية، ولكن عيناها تركزتا على وجهه: «مازلت لا...» التقطت انفاسها عندما حولت نظرها عنه لتنظر في الوثيقة التي بين يديها. وكان يرفق بالورقة الثانية ايضاً شيكاً مصرفياً باسمها

www.elromancia.com

بمبلغ فيه اصفار كثيرة ورقم معتدل، اخذت تحدق به بصمت ثم رفعت رأسها ونظرت إلى روركي: «ما كل هذا؟»

«كيف تبدو لك؟»

ضحكت بتردد قائلة: «لا أدري، ولذلك السبب أنا...»

«هل قرأت الوثيقة جيداً؟» ومشى روركي نحوها واخذ الاوراق من يدها بقوة. ليتفحصها بنفاد صبر، ثم امسك بالصفحة الأخيرة ورفعها امامها واشار إلى المقطع الأخير من النص: «هذا هو الجزء الأهم مما ورد في الوثيقة، حيث انك اقسمت بأن تتنازلي عن كل الحقوق المستقبلية والادعاءات بالنسبة لسوزانا في مقابل...»

ترنحت في وقفتها وكأنها أصيبت برأسها: «ماذا؟»

«لن تحصلي على قرش واحد الا اذا وقعت عليها، وبشروطها الكاملة. وان كنت تظنين انه بامكانك الصمود أكثر... لن تسنح لك اية فرصة لاسترداد سوزانا، وان جربت ان تفعلي ذلك، فسأقف ضدك وأجعلك تمضين بقية ايام عمرك بين المحاكم أو في السجن. هل تفهمين ما أقوله لك، يا فيكتوريا؟»

«لقد... لقد عرفت الحقيقة اذاً.»

«بأنك أنت التي ساعدت في منح الحياة لابنتي؟» ولوى فمه اشمئزازاً: «اطمئنك، بأنه، نعم واعرف ذلك.»

«لكن كيف عرفت؟ هل الكسندرا هي التي اخبرتك؟»

ضحك روركي بخشونة قائلاً: «القصة الوحيدة التي روتها لي الكسندرا وبشكل يفتت الاكباد، هو عن الساعات الرهيبة التي امضتها ابان المخاض.»

«اذاً، وكيف اكتشفت كل ذلك؟»

«لقد اتصل بي الدكتور رونالد.»

حدقت في وجهه بدهشة: «مازلت لا افهم.»

«لقد اتصل بي منذ بضعة ايام، وكان يبدو عليه الخوف الشديد. كان خائفاً من أن تذهبي إلى السلطات الرسمية وتشهدي ضده وضد المحامي الذي حرر وثيقة التنازل. وقال ايضاً بأنك ستقدمين شكوى ضده إلى المحاكم كي تكسبي الحق في حضانة سوزانا، لذا اعتقد انه يجب ان يحذرني من افعالك تلك. وطبعاً، لم يكن على اطلاع بانني لا اعرف ان سوزي هي ليست ابنتي، لأن ذلك كان سراً شاركته فيه الكسندرا فقط مع محام يتعاطى المحاماة بامور مخادعة من هذا النوع.»

وقفت فيكتوريا وقالت بلطف: «روركي، آسفة لأنك اكتشفت القضية بهذا الشكل، فأنا لم اكن أريد...»

«لا، بالطبع، لم تكوني تريدين ذلك. لأنك كنت تفضلين ان تجابهيني بنفسك.» وتابع مستهزئاً: «انك فعلاً استطعت ان تقنعي الدكتور العجوز، فقد كان متأكداً بأنك سوف تتسلحين بتلك الاوراق ضدي.»

هزت رأسها بشدة نافية اتهامه الخطير لها: «لا، لا يمكن ابداً ان أقوم بشيء كهذا.»

ابتسم ابتسامة واسعة وقال: «انك من الطبيعي جداً ان لا تقومي بذلك. لكنه خدع بتهديدك له، وكنت قد دفعت لك المبلغ الذي تريدينه لتكفي عن محاولاتك تلك لاستعادة سوزي.»

شحب وجه فيكتوريا: «هل هذا، فعلاً ما تعتقده بي؟»

نظر إليها بازدراء وقال: «ان هذا ما اعرفه عنك.»

«روركي...»

www.elromancia.com

«كدت ان تحصلي على كل شيء، وقد اتيت إلى بورتوريكو من أجل ان تبتزي اموالي.»

«لا، انها كذبة!»

«لا تفقدي اعصابك، يا فيكتوريا. فعندما عرفت الحقيقة حول... حول ابنتي، ألمني جداً ان اتلمس خديعتك وطرقك الملتوية. الخمسون ألف دولار التي تقاضيتها مني لم تكن كافية فأردت المزيد. لذا جئت إلى بورتوريكو لتبتزيني وطمعاً بمبلغ آخر.» تنهد بألم وتابع يقول: «لكن بعد كل ذلك، طرأ على رأسك فكرة افضل، وذلك اذا استطعت ان توقعيني في حبك، تكونين قد اكتسبت كل شيء. لماذا فضلت ان يدفع لك مرة واحدة فقط، بينما كان بامكانك ان تضعي نفسك في مكان يخولك من ان تكسبي أكثر من ذلك بكثير؟»

«روركي؟ ألا تعتقد ان مشاعرك قد تغيرت تجاه سوزي وقد عرفت الآن الحقيقة كاملة؟»

أمسك بكتفيها بقوة وقال: «هل تظنين بانني حقود وعديم الشعور إلى هذا الحد؟ ان سوزانا ابنتي، وأنا أحبها حباً شديداً، احبها الآن حتى أكثر... فيكتوريا.» نطق باسمها بصوت ملؤه القسوة: «هلا وقعت على تلك الاوراق؟ وهل ستتنازلين عن كل ادعاءاتك المتخصصة بسوزانا وإلى الأبد؟»

نظرت إليه باشمئزاز، ثم مدت يدها تناولت الأوراق من يده، ووضعتها على الطاولة وتناولت قلماً.

تمتم بقسوة: «نعم، اعتقد انه من الغباء ان افكر انك لن تقومي بذلك.»

وقعت اسمها بسرعة، وقد حجبت الدموع في عينيها كل

رؤية، ثم استقامت في وقفتها ومدت يدها تناوله الاوراق. وتقدم بعد ذلك ببطء واخذ الوثيقة من يدها، وارجعها إلى الظرف ومن ثم وضعه داخل جيب سترته.

قال بصوت اجش: «الوداع يا فيكتوريا.»

أخذت تراقب توجهه نحو الباب، ثم وعلى نحو مفاجيء صوبت نظرها إلى الطاولة. نادت عليه: «انتظر.»

التفت روركي بسرعة وقال: «ماذا هناك؟»

مدت يدها التي أمسكت بالشيك المصرفي وقالت وهي تتقدم نحوه: «لقد نسيت هذا.»

«لقد فات الأوان لذلك، لأنك وقعت على الشروط التي في الوثيقة، وأنا لا أود ان أزيد على القيمة التي اشترطنا عليها.»

«أنا لا أريد مالك. ولا يمكنك ان تشتري وتبيع أي طفل يا روركي؟»

«اذا كنت تحاولين الاعتراض على ما جاء في الوثيقة، دعيني أؤكد لك بأنها قانونية وشرعية.»

«ان محاميك ملم بهذه الأمور، أكثر مني أنا. ولكنني أحاول ان أقول لك، بانني لم أبع يوماً طفلتي، ولا أريد ان أفعل ذلك الآن.»

تقدم روركي إليها وقال: «حسناً، لننهي هذا الأمر بسرعة، ما الذي تريدينه بالضبط؟»

ما الذي كانت تريده؟ يا له من سؤال بسيط، انما الاجابة عليه اصعب ما تتصوره. فهي تريد كل شيء، ان تستعيد احترامها الشخصي، وطفلتها الحبيبة، والأهم من اي شيء، حبيبها روركي.

www.elromancia.com

«حسناً؟ ما الذي تريدينه الآن، يا فيكتوريا.»

تنفست بعمق قبل ان تقول: «أريد أن أسترد احترامي الذاتي.»

ضحك روركي عالياً: «انه شيء مؤثر بالفعل، لكنني أرى ان هذا الطلب جاء متأخراً بعض الشيء. لقد تخليت عن احترامك لنفسك ساعة تخليك عن طفلتك.»

«لا،» قالت كلمتها بثورة وكأنها تقذفه بحجر: «انني لم اتخل عنها أبداً يا روركي، ولا بالطريقة التي تظنها. أحببت طفلتي بكل جوارحي، وكرهت الحادثة بأن... كرهت والدها.»

«انني في الحقيقة لا يهمني ان اسمع قصتك. لقد قمت بما قمت به في ذلك الوقت ودفعت اليوم ثمن ذلك.»

التقت عيناها بعينيه: «نعم قمت بذلك، واعترف بأنني كنت غبية حمقاء، لأنني كنت اعتقد بأن كريغ يهتم بي ويحفظ حبه لي في قلبه، بينما كل ما أراده مني، هو اللهو ليصل إلى هدفه ومبتغاه. عندما اكتشفت بأنني حامل، تمنيت الموت لنفسي، فما هو الشيء الذي يمكنني ان اقدمه لطفلتي؟ فانا فقيرة، ولا مستقبل لي، وكنت قد نشأت دون أب، بل مع والدة اشتغلت خادمة في البيوت لتؤمن قوت يومنا، فرفضت ان اهب لطفلتي حياة مثل هذه الحياة.»

«يا لها من قصة دراماتيكية تسقط الدموع من العيون. يجب ان تكتبيها وتقدميها على المسرح، وأنا واثق انها ستنال الاعجاب.»

تابعت كلامها وكأنها لم تسمع ما قاله: «أما من ناحية والدتي، فقد كان المرض يشتد عليها. تساءلت كيف يمكنني

ان اخبرها بأنني حامل؟ وأنا أعلم جيداً بأن خبراً كهذا، قد يقضي عليها ويعجل بموتها، لذلك، ذهبت إلى الدكتور رونالد اسأله ان ينصحني ويساعدني، وقد...»

«رتب لك مخرجاً عظيماً حينها، لقد تمكنت بواسطته ان تبلسمي ضميرك المعذب وتربحي مبلغاً لم تحلمي يوماً بأن تحصلي عليه وبهذه الطريقة السهلة...»

«ويحك يا روركي. انني لست ممن يشترون ويبيعون ضمائرهم، هل يمكنك ان تفهم ذلك؟ قلت لك بأنني لم أعلم بقصة البيع والشراء الا من الكسندرا. لقد دفعت المبلغ إلى الدكتور رونالد، وكان هو الذي...» توقفت عن متابعة كلامها فجأة، عندما رأت ملامح وجهه لا ثقه فيها، فأسرعت تنتزع الشيك المصرفي من يده ومزقته إلى قطع صغيرة ونثرتها في الهواء وقالت بعنف: «تفضل، هذا ما يعني لي مالك يا روركي كامبل، وان كنت لا تصدق كلامي، فيمكنك ان...»

ابتعدت عنه واخفت وجهها بيديها، وأخذت تنتحب.

«يا لها من قصة مؤثرة يا فيكتوريا، لكنك نسيت جزءاً منها، فان كنت فعلاً لا تريدين شيئاً من وراء سوزانا، فما الذي جاء بك إلى بورتو ريكو اذاً؟» أمسك بكتفيها وادارها نحوه بعنف وتابع: «ولماذا دخلت حياتي بطرق ملتوية حقيرة، ان لم يكن الهدف من ورائها ابتزازي وسرقتي بطرق شريفة.»

«لا! انني لم...»

«أراك تصرين على موقفك البريء، لكنني اقول لك، بانني لا أصدق كلمة واحدة من كلامك. وأنا متأكد بأنك سعيت

www.elromancia.com

وجريت ورائي لأجل المال. وعندما لاحظت وتأكدت بأنني وقعت في حبك، قررت ان تغامري من أجل مبلغ آخر.»

ضحكت فيكتوريا بألم وحزن: «أنا لم أكن أعلم ان سوزانا ليست ابنتك حقاً، الا عندما اخبرتني تلك القصة عن تاريخ مولدها في تلك الليلة الأخيرة. اسأل الدكتور رونالد اذا كنت لا تصدقني، أو يمكنك ان تسأل الكسندرا... هذا ان استطعت، ان تستدرجها إلى قول الحقيقة.»

«سيكون ذلك مستحيلاً علي ان اسألها، لأنني طردتها بعد نصف ساعة من مغادرتك جزيرة لابانتيرا.»

التقطت انفاسها وقالت: «هل فعلاً قمت بذلك؟»

هز رأسه بكآبة قائلاً: «نعم، وقد قررت بأن لا أراها مرة أخرى، بعد ان عرفت وتأكدت من انها لن تمس شعرة من شعر رأس سوزانا... حسناً، لنفترض انك فعلاً لم تأت إلى بورتوريكو من أجل ربح سريع، فلماذا اتيت اذاً؟»

تنهدت فيكتوريا بعمق وقالت: «ليس من السهل ان اشرح لك ذلك. اسمع، أنا لم اتوقف يوما عن التفكير بطفلتي، وكنت اتساءل دائماً، ترى كيف تبدو؟ كل الذي كنت أسعى إليه، كان فقط من أجل ان اتأكد من ان الزوجين اللذين يرعانها يعاملانها بشكل جيد، وإذا سنحت لي الفرصة ايضاً، ان القي نظرة ولو خاطفة عليها.»

«اذاً، اتيت إلى شركة كامبل لأجل البحث عني؟»

«نعم، وكان في حوذتي اسمك، لكن دون عنوان مكان اقامتك. واردت... اردت تتبع خطواتك واللحاق بك، ولكنني اكتشفت بعد ذلك انني كنت الاحق رجلاً آخر. الذي كان يضع نظارتين باطار معدني، وله شعر خفيف...»

ادارها روركي إليه، ثم قال: «انه تنيسون، رئيس حسابات شركتي. وصفك هذا لا اسميه اطراء، انما دقيق جداً.»

«لكنني صعقت عندما اخبرتني انك روركي كامبل. وعندما اصبحت في جزيرة لا بانتيرا، تأكد لي انني ادور في حلقة مفرغة. وبعد ذلك رأيت سوزي.»

«رأيت طبعاً ذلك الشبه بينكما. لكنني اعتقدت انه فقط... انها صدفة وغريبة من نوعها ان يكون لكليكما نفس لون الشعر الداكن والعينين الزرقاوين كزرقة السماء.»

«لم ار ذلك عندئذ. ولكنني سألت كونستانسيا هل كانت سوزي طفلتك بالحضانة.»

«قالت لك انها ليست كذلك.»

قالت فيكتوريا بصوت مخنوق: «وأحسست انه يجب ان لا اتابع اهتمامي بهذا الموضوع، كما انني ادركت انه لا نفع لي ان ابحث عن طفلتي، وانه لا يحق لي ذلك، وأنا التي كنت قد تخليت عنها وأنا بكامل قواي العقلية...»

«لا بد وان الأمر كان مخيفاً عندما تخليت عنها.»

همست: «آه، نعم، اكثر مما قد تتوقعه.»

تنهد وهو يقترب منها، فأخذت تبكي بصمت. «انني فعلاً اقدر موقفك يا توريا، وقد قمت بما يجب ان تقومي به.»

«أحب سوزانا. ولا يمكن ان اسبب لها اي اذى، وعليك ان تصدق ذلك.»

قال بنبرة بدت جافة نوعاً ما: «نعم. لقد صدقت ذلك الآن.»

«وحبي الشديد لها منعني من ان اوْخذ بجرأة الكسندرا، مع انني كنت اميل إلى ذلك بقوة.»

www.elromancia.com

«ما قصدك بالجرأة؟»

«لقد سخرت مني في تلك الليلة واخذت تشجعني قائلة - هيا، اخبري روركي بكل شيء - لكنها كانت تعرف بأنني لن اقوم بذلك، حتى ولو انتهى الأمر بها ان تستمر معك.»

«لأنك لم تريدي أن تسببي الألم لسوزانا؟»

طأطأت برأسها قائلة: «و... ومن أجل أسباب أخرى.»

«توريا. ما هي هذه الأسباب الأخرى؟»

«لأنني... لأنني كنت أعلم كم تعني لك سوزي. وأدركت ان الحقيقة ستحطمك وتؤذي مشاعرك.»

«آلمتني معرفة الحقيقة في البداية، لكنني عدت وفكرت، ليس من الضرورة ان تكون من لحمي ودمي كي اكون لها والداً، انني لست غبياً لاعتقد في شيء من ذلك.»

«اذاً، حبك لسوزي لم يتغير أو يتبدل؟»

«قلت لك، ان شيئاً من ذلك لم يحصل.» نظر في عينيها وتابع: «انني احبها اليوم اكثر من ذي قبل.»

«انه فعلاً خبر مفرح، كم أنا سعيدة...»

«الا تريدين ان تعرفي سبب ذلك؟ لأنها جزء منك.» شعرت فيكتوريا بقلبها يتوقف عن خفقانه، وتابع بلطف شديد: «كلما فكرت بأنني كنت على وشك ان افقدك... آه، كم احبك يا توريا، كما وانني لم اتوقف يوماً عن حبك.»

همست، وعيناها تبحثان عن عينيه: «كيف... كيف تكون تحبني، اعتقدت... وصدقت بأنني قادرة على...»

قال لها وهو يبتسم: «سامحيني بما نطق به لساني، يا حبيبتي. كما ان قلبي رفض ان يصدق ذلك عنك، ومهما قالت الكسندرا، ومهما قاله الدكتور رونالد عنك، كان قلبي

يذكرني دائماً بالذي أعرفه عنك، أنت كنت دائماً طيبة وعذبة ومحبة. ولكنني لست من النوع الذي يلبي نداءات قلبه، فلو كنت هكذا، ربما لم اكن بذلك الغباء الشديد.»

تنهدت قائلة: «آه، روركي...»

«قولي بأنك ما زلت تحبينني، قولي انني لم ادفن حبك في تلك الليلة التي طردتك فيها وابعدتك عني.»

ضحكت فيكتوريا بسعادة وهي تمسح دموعها عن خديها: «انه لا يمكنك ان تفعل ذلك من قلبك، لأنني احبك يا روركي، وسوف ابقى على حبك مهما حييت.»

ابتعد عنها قليلاً وكأنه تذكر شيئاً، وقال لها: «هناك مشكلة واحدة.» وتناول الظرف الذي بداخله الوثيقة التي وقعت عليها: «كنت على حق، اتعرفين، ان اتفاقات كهذه لا تستحق الورق الذي كتبت عليه.»

ارتجفت فيكتوريا وقالت: «قلت لك، انني لن احاول ان انزع سوزي منك، الا تصدقني؟»

«نعم، ولكنك أنت والدتها الشرعية. وأنا والدها، فما الذي يمكننا ان نفعله في وضع كهذا؟»

قالت بغباء: «لا أعرف، هل تفكر بشيء من ناحيتك؟»

طأطأ روركي برأسه وقال: «تزوجي مني يا توريا، وكوني زوجتي، وكوني أيضاً والدة لسوزانا. ودعيني اسهر على راحتكما إلى الأبد.»

دخل من الشباك نسيم حار لطيف ينبىء بقدوم فصل الصيف حاملاً معه عبير ازهار البنفسج، ورأت فيكتوريا رؤوسها تنحني احتراماً لحبهما، وشعرت بقلبها يفيض بسرعة فرحاً وسعادة.

www.elromancia.com

قالت من خلال دموع الفرح: «آه، نعم، يا حبيبي. نعم.»

اسقط روركي الوثيقة من يده إلى الأرض، ونسي أمرها. ونسيا معا كل شيء آخر، ولكن أمراً واحداً لم ينسه، هو حبهما الذي سيبقى يزهر وينمو إلى الأبد.

تمـــت

www.elromancia.com
مـــرمـــوريـــة